لماذا يكرهون الإسلام ؟

فى أواخر عام ٢٠٠١ ثارت ضجة فى إيطاليا عندما أعلن أن السفير الإيطالى فى السعودية (توركوا توكارديللى) اعتنق الإسلام، يوم ١٦ نوفمبر، وأعلن أنه اهتدى إلى الإسلام بعد دراسة عميقة للقرآن والقيم والحضارة الإسلامية.

وعلقت صحيفة (لاستامبا) الإيطالية على هذا الحدث فى عددها يوم ٢٦ نوفمبر فقالت: إن (كارديللى) انحاز إلى الإسلام فى الوقت الذى احتدم فيه الصراع بين الحضارات والديانات، وإن اختيار السفير للإسلام يثير كثيرًا من الجدل، خصوصا أنه ليس أول دبلوماسى يعتنق الإسلام، فقد اعتنق الإسلام قبله (ماريو شيالوجا) الذى اعتنق الإسلام فى عام ١٩٨٨ وتولى منصب سفير إيطاليا فى السعودية عشر سنوات بعد إسلامه وأصبح رئيسا للمجلس الإسلامى الإيطالى ونائبا لرئيس رابطة العالم الإسلامى فى مكة ولها فرع فى العاصمة الإيطالية روما.

أما كارديللى السفير الذى شغل الصحافة والرأى العام فى أوربا لاعتناقه الإسلام فهو باحث متعمق فى شئون العالم الإسلامى، درس اللغات والحضارات الشرقية، كما درس الحياة السياسية فى الشرق، وبدأ العمل فى السلك الدبلوماسى عام ١٩٦٧ وتولى مناصب عديدة فى سفارات إيطاليا فى عديد من الدول الإسلامية منها سوريا والعراق وليبيا، وشغل منصب السفير فى دار السلام عاصمة تانزانيا من عام ١٩٩٣ حتى ١٩٩٧، عاد بعدها إلى وزارة الخارجية الإيطالية، ومنذ عام ١٩٩٨ حتى ٢٠٠٠ شغل منصب أمين المجلس العام لشئون الإيطاليين بالخارج ثم نقل سفيرا فى السعودية، فهو إذن شخصية لها وزن سياسى ودبلوماسى كبير فى الخارجية الإيطالية، وهو من المثقفين والدارسين للحضارات والديانات، وعلى إلمام كبير بقضية صراع الحضارات التى تدور رحاها

obeikandl.com

في الغرب، ولذلك فإن اختياره للإسلام وللحضارة الإسلامية فسّره بعض المعلقين في الصحافة الغربية على أنه هزيمة للغرب ونقطة تحسب لصالح الإسلام ليس هذا هو الوقت المناسب لحصول الإسلام عليها كما قالوا.

وانشغلت الصحافة الغربية بالبحث عن كيفية اعتناق السفير الإيطالى للإسلام.. وهل تعرّض لضغوط من جهات مًا.. أو وقع تحت إغراءات مًا؟. فاكتشفوا أن الرجل أعلن أنه اختار الإسلام نتيجة بحث ودراسة لسنوات، وبعد قراءات وتأملات طويلة فى القرآن والأحاديث وكتب التفسير المعتمدة، وإن هذا التحول حدث فى وجدانه وعقله، قبل أن يصل إلى السعودية، وهذا ما حدث للسفير الآخر الذى سبقه (شيالوجا) فى عام ١٩٨٨ وكان وقتها دبلوماسيا يمثل بلاده فى نيويورك ويشغل منصب نائب المندوب الدائم لإيطاليا لدى الأمم المتحدة.. وعكف على دراسة الأديان.. وقال: شعرت بانبهار بالإسلام واليهودية لعلاقتهما البسيطة والمباشرة مع الله من خلال الصلاة، وعدم وجود وسطاء بين الإنسان والله، وعندما وصلت إلى الرياض كان الإسلام قد تمكن من قلبى وعقلى، ولكن من واقع منصبى كسفير اعتنق الإسلام لم أتمتع بأية امتيازات خاصة فى السعودية، وبعد إشهار إسلامى تمت الموافقة على أن أزور البيت الحرام وأشاهد الكعبة، ودخلت الكعبة مع الدبلوماسيين المسلمين فى السعودية فى مناسبة غسيل الكعبة، وكانت زيارتى للكعبة تجربة روحية يصعب وصفها،ولذلك سأدعو (كارديللى) إلى زيارتها حتى لا تفوته هذه التجربة..

كل هذا الكلام أشعل الخصومة للإسلام وهناك كثير ممن يدخلون فى الإسلام ويتحدثون عما جذبهم فيه كعقيدة توحيد تدعو للتسامح والإيجابية مما يثير أعداء الإسلام فتزيد الحملة على الإسلام والمسلمين.

وأعادت الضجة التى أحدثها إسلام السفير الإيطالى الحديث عن اعتناق الفيلسوف الفرنسى روجيه جارودى وهو من الشخصيات الغربية الشهيرة ويعتبر أحد رموز الفكر الأوروبى والحضارة الغربية عموما، وقصة إسلام جارودى جرّت عليه وعلى الإسلام والمسلمين المتاعب وحملات الكراهية.

وجارودى أقام شهرته كمفكر يسارى، ولكنه اكتشف منذ عام ١٩٥٦ أن الشيوعية تسير فى طريق مسدود، بعد البيان الذى ألقاه الزعيم السوفيتى نيكيتا

خروشوف وكشف فيه الفضائح والفظائع التى كانت ترتكب فى عصر ستالين الذى كانت الدعايات الشيوعية تصوره على أنه العصر الذهبى وأن السوفيت يعيشون فى ظله فى النعيم، وبعد هذا البيان يقول جارودى: إنه استيقظ من غفوته ومر بمرحلة من الشك والقلق، وبدأ يبحث عن ملاذ جديد لليقين، مع تصميم بألا يؤمن إلا بناء على معرفة يقينية، ولا يصدق ما يقال إلا بعد الفحص والتحليل بمنتهى الدقة.

اكتشف جارودى فى مرحلة البحث والتأمل أن مركز الإبداع والحضارة ليس فى أوربا وأمريكا وحدهما كما كان يتصور، كما اكتشف أن المبدأ الماركسى القائل بأن الدين أفيون الشعوب ليس إلا هراء، وأن أفيون الشعوب الحقيقى هو الماركسية ذاتها، وأن الدين ضرورى للإنسان لأنه يوقظ فى الإنسان الشعور بالمسئولية والالتزام بالقيم سرا وعلانية، ويجعله حذِرًا من اقتراف الذنوب بينه وبين ضميره، وبعد دراسة لكل الأديان أعلن أنه وجد أن الإسلام فيه الإنقاذ للبشرية من الاحتضار الذى وصلت إليه الحضارة الغربية. ويقول جارودى: إنه توقف طويلا أمام مفهوم الجهاد كما ورد فى الحديث: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر.. جهاد النفس» ورأى أنه درس مهم للثوريين الذين يحاولون تغيير كل شيء ما عدا أنفسهم!

والسبب الحقيقى لما واجه جارودى من اضطهاد أنه بدأ يعمل على رد الاعتبار إلى الإسلام وحضارته أمام الفكر الغربى الذى يتخذ موقف الجاحد والمتجاهل، وأغرقوه فى حملة من النقد والتشهير بعد أن أصدر كتابه (وعود الإسلام) وأراد به أن ينزع الكمامات عن عيون المفكرين فى الغرب ويخلصهم من الأحكام سابقة التجهيز التى يرددونها عن الإسلام.. هاجموه لأنه رفض نزعة الترفع العرقى لدى الغرب، والقيام بدور المعتدى على ثقافات وحضارات أخرى تستحق التقدير، وكرهوه لأنه قام بتعرية موقف الغرب وكشف الحقيقة وهى أن الهيمنة الاقتصادية للغرب هى الدافع إلى الهيمنة الثقافية، وهذه الأسباب الاقتصادية الإمبريالية هى التى تدفع مفكرى الغرب إلى ازدراء الإسلام وحضارته وثقافته.. فالرأسمالية الغربية تسعى إلى الهيمنة على العالم والسيطرة على العقول والعقائد أيضا، ولم يغفروا لجارودى أنه قال: إن الإسلام قوة روحية فى الماضى وسيظل

كذلك فى الحاضر والمستقبل، ويجب ألا يضيِّق الغرب نظرته للإسلام فلا يرى منه إلا جماعات متشددة تستخدم العنف فيقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه أصحاب النزعة الإلحادية القديمة الذين حاربوا المسيحية وخلطوا بين مبادئها وبين الكنيسة فى عهد قسطنطين وخلفائه، والحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش، والبابا بورجيا وبعض رجال الدين المتخلفين الذين كانوا قوة رجعية ضد الديمقراطية والتقدم..

هذا الخطأ الذى وقع فيه الملحدون قديما فى الغرب يقع فيه كثير من المثقفين والسياسيين والباحثين اليوم، ومنذ أكثر من ألف سنة، وما زال (الخوف) هو الذى يلون نظرتهم للإسلام، والخوف – كما يقول جارودى – ناصح مضلل يشوه أحكام كثير ممن يتصدى للإسلام فى الغرب. فالحرب الصليبية استغلها قادة أوربا لنشر صورة كريهة عن الإسلام وروجوا لها وسط جماهير غير مؤهلة للتمييز، ومن هؤلاء مثلا (جيبرت توجينت) المتوفى سنة ١١٢٤م – هذا الراهب له كتاب كان فى حقيقته برنامجا كاملا لجميع المواقف والأفكار المعادية للإسلام وكان كتابه بعنوان (الفرنسيون، الصليبيون أدوا مهمة الله) وبعدها ازدهرت حركة الاستشراق، ولم يكن هدفها البحث العلمى والمعرفة ولكن كان هدفها – كما يقول جارودى – خدمة السياسة والاستعمار والكنيسة وإعادة صياغة دول وشعوب (الشرق) وفقا لاحتياجات ولسيطرة (الغرب).. فكان الجد الأكبر لحركة الاستشراق لفرنسا وأوربا (سلفتر دى ساسى) المتوفى سنة ١٨٣٨ ميلادية أول أستاذ للغة العربية وأول مدير لمدرسة اللغات الشرقية فى باريس والأستاذ فى كوليج دى فرانس وكان يعمل فى نفس الوقت فى وظيفة أخرى فى وزارة الخارجية الفرنسية، وهو الذى كتب منشورات جيش نابليون ونداء الجيش الفرنسى عند احتلال الجزائر عام ١٨٣٠. وكان المستشرق ماكس مولر (١٨٢٣ – ١٩٠٠) الآمر الناهى فى جامعة اكسفورد البريطانية والمحاضر فى جامعة كامبريدج، وكان يتولى فى نفس الوقت تدريب وإعداد الإداريين الاستعماريين البريطانيين للهند وغيرها.. ومئات غيرهم من (المستشرقين) درسوا العربية والإسلام بقصد خدمة المشروعات التبشيرية والاستعمارية والسياسية لدول الغرب فى العالم العربى والإسلامى، وشاركوا فى صياغة

نظريات لتبرير الهيمنة الغربية، ولم يكونوا مخلصين أو موضوعيين فى عرض الإسلام على حقيقته، للرأى العام فى الغرب، ولكنهم كانوا يريدون إصدار أحكام إدانة على الإسلام والمسلمين انطلاقا من معايير غربية، كما لو كانت الحضارة الغربية هى النموذج الوحيد الذى يجب أن يعم العالم، وبالتالى تعمقت فكرة رفض الإسلام وحضارته، وهذا ما جعل فولتير يصور الرسول ﷺ فى كتابه (محمد) عام ١٧٤١ نموذجا للمكر الدينى فى خدمة الاستبداد السياسى.. يقول جارودى: إن الإسلام لم يدرس لذاته فى الغرب فى أية حالة من الحالات وإنما وفقا للصراعات الأيديولوجية ومصالح الغرب.. واستخدم الغرب الخداع للسيطرة على العالم الإسلامى، كما فعل نابليون بونابرت عندما وجَّه بيانا إلى شعب الإسكندرية عند نزول الحملة الفرنسية يوم ٢ يوليو ١٧٩٨ قال فيه: إننا نحن (جيش الاحتلال الفرنسى) المسلمون الحقيقيون! وقال نابليون: أيضا إنه جاء يقاتل من أجل الإسلام !

وسرد جارودى قائمة طويلة من كبار المفكرين الغربيين كتبوا ضد الإسلام كتابات أثرت فى العقل الغربى بعمق.. من هؤلاء فيكتور هوجو فى كتابه (شرقيات)، وشاتوبريان فى كتابه (رحلة من باريس إلى القدس) عام ١٨١١ وبعده جاء كتاب لا مارتين (رحلة إلى الشرق) عام ١٨٣٣ الذى قال فيه: عندما تسقط الإمبراطورية العثمانية سوف تأخذ كل واحدة من القوى الأوربية جزءا منها، وهذا النوع من الإقطاعية من السيادة المطلقة سيصبح من الحقوق الأوربية، وسيكون من حق كل دولة أوربية أن تقيم مستعمرات فى الجزء الذى يخصها.. وبعد ذلك قال جيرار دى نرفال بعد رحلة للشرق فى عامى ١٨٤٢ و١٨٤٣: إنه لم يجد فى الشرق إلا الفراغ، والقليل من المعرفة، وكتب فلوبير رواية (سالامبو) وقال: إنه يريد بها إيقاظ الشرق من هلوساته الإسلامية.. وهذا ما قاله لورانس العرب حين ادعى أنه ذهب إلى العالم العربى ليعمل على تشكيل أمة جديدة، وقال: إن جميع ولايات الإمبراطورية العثمانية لم تكن تساوى فى نظرى موت إنجليزى واحد!

ويشير جارودى إلى أن نزعة التحديث فى مصر ثم فى العالم العربى كان فيها تياران، تيار يرى أن مستقبل العالم العربى والإسلامى فى محاكاة أوربا، على

الصعيد السياسي باستيراد أنظمة الحكم الأوربية ابتداء من البرلمان إلى قوانين السوق الحرة. وعلى الصعيد الاقتصادى كان الاندماج فى أسواق الغرب وتسهيل انتقال السلع من الغرب إلى أسواق العالم العربى والإسلامى دون الوصول إلى مرحلة إنتاج هذه السلع. وعلى صعيد الثقافة كانت الحداثة هى الثقافة والقيم الغربية - الفردية - ونظرية أن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان! وبذلك فإن المعروض على العالم العربى والإسلامى هو السير فى نفس الطريق الذى سار فيه الغرب منذ أربعة قرون، واعتبار الماضى الأوربى هو المستقبل العربى والإسلامى!

أما التيار الآخر - كما يقول جارودى - فهو تيار السلفيين، وقضيتهم: كيف يستطيع العالم العربى - الإسلامى تأكيد حقه فى الوجود؟ وإجابتهم أن تحديث العالم العربى والإسلام لا يكون بتقليد هؤلاء الذين يقتلوننا وأن نصير مثلهم، ولكن بالعودة إلى الدين. إن المسلمين تخلفوا عندما ابتعدوا عن دينهم، وانطلاقا من هذه الفكرة قرروا احتجاز الإسلام فى قلعة وإغلاق الأبواب عليه بلا نوافذ ولا حتى فتحات للتهوية والنور، كما يقول جارودى، ومن هؤلاء ظهر أصحاب العقيدة المتصلبة، والإسلام ليس منغلقا إلى هذا الحد، والله أرسل لكل شعب رسوله لكى يستطيع كل شعب أن يفهم الرسالة بما يناسبه، ولذلك أيضا جاء الاجتهاد وظهرت المذاهب الفقهية كمحاولات للإجابة عن المشكلات الجديدة التى ظهرت بعد انتشار الإسلام فى مجتمعات مختلفة عن مجتمع الجزيرة العربية، وإغلاق باب الاجتهاد لم يأت بأمر إلهى، ولكن بقرار سياسى.

يقول جارودى: إن المشكلة هى هذا العقل المغلق الذى يتعارض فى حقيقته مع روح ومبادئ الإسلام كما جاءت فى القرآن، فالرسول ﷺ اعتبر نفسه مجددا ومكملا لرسالات اليهودية والمسيحية، ومعنى ذلك أن الإسلام منفتح على غيره من الأديان، وعظمة الإسلام أنه عرف كيف يدمج العقيدة السابقة عليه فى عقيدته ويجرى عملية تكامل مع أفضل ما فى الثقافات الأخرى ولم يرفضها ولم يغلق الأبواب على نفسه، ولم يبدأ الانحطاط إلا عندما بدأ الانغلاق. وحين تم خلط السنة بالتقاليد والعادات التى لا أساس لها فى القرآن وأعمال الرسول ﷺ وهكذا فرضوا الملابس الغريبة على المرأة وهى ملابس تنتمى إلى عصر الجاهلية قبل الإسلام.

ويشير جارودى إلى ما يلاحظه الغربيون من تناقضات فى سلوك المنغلقين من المسلمين، فهم يغلقون عقولهم عن كل فكر يأتيهم من الغرب، وفى نفس الوقت يستخدمون الوسائل التى تأتيهم من الغرب (من السيارة و الطائرة إلى السينما والتلفزيون والكمبيوتر والإنترنت) ومن طرق الغرب الجنونية فى الاستهلاك، والفردية الغربية المتوحشة.. ويصل جارودى إلى أن الغرب هو المسئول عن تخلف الدول الإسلامية.. والقضية الأساسية التى تكمن وراء جميع مشكلات العالم من مشكلة الفقر والجوع إلى مشكلة التسلح وهما وجهان لنفس المشكلة، ومن غياب معنى وهدف الحياة فى الغرب، وانتشار العنف بين الأفراد والجماعات والقمع فى الداخل.. كل هذه مشكلات مصدرها الغرب.. واقتصاد الغرب قائم على إنتاج كل شيء بكثرة سواء كان مفيدا أم ضارا.. حتى الأسلحة النووية وغير النووية.. ولابد من سوق لاستهلاك هذه المنتجات، ولابد من زيادة الطلب عليها، ولابد أن يقتنع الناس بأن السعادة والتقدم مرتبطان بكثرة المنتجات المستهلكة.. والغرب يوهم الجائعين فى الدول المتخلفة بأن خروجهم من دائرة البؤس التى يعيشون فيها لن يتم إلا بأن يقلدوا الغرب فى الاعتماد على التكنولوجيا الضرورية وغير الضرورية.. وزيادة الاستهلاك.. والنتيجة أن ثروة العالم تركزت لدى دول الغرب حتى إن أقل من ٣٠٪ من سكان العالم يملكون ٨٢٪ من الإنتاج العالمى، وينفقون ٨٥٪ من الأموال المخصصة للتسلح، و٥٠٠ مليون إنسان فى العالم يعيشون حياة غير إنسانية ويموتون من سوء التغذية وقلة الدخول، والبطالة، ويدعى الغرب أنه يقدم مساعدات مالية للدول الفقيرة، وهذه المساعدات ليست إلا واحدا على عشرين مما تنفقه دول الغرب على التسلح، وتتراكم الديون على الدول المتخلفة لصالح دول الغرب وتتعثر بسبب الأقساط والفوائد.. والنظام العالمى قائم على أن يزداد الأغنياء غنى ويزداد الفقراء فقرا.. ويقوم البنك الدولى وصندوق النقد الدولى بالدور الأكبر لتحقيق ذلك. وإن كان البترول موجودا فى العالم الإسلامى.. فإن أموال البترول موجودة فى بنوك الغرب ومعظمها فى الولايات المتحدة وتستطيع تجميدها كما فعلت من قبل.

وفى تحليل جارودى لأوضاع العالم فى هذا النظام العالمى الجديد الذى يحقق مصالح الغرب فقط يقول: إن عدد سكان الدول الصناعية سدس سكان العالم، ولكنهم يحصلون على ٦٠٪ من المنتجات الزراعية فى العالم.. وتستخدم ثلثيها

لتغذية الماشية، بينما يزداد الجوع فى دول العالم الثالث، ولهذا يصدق القول بأن طعام الفقراء يصل إلى ماشية الأغنياء!.

وفى النهاية وصل جارودى فى ضوء اختلال الموازين وضياع القيم الإنسانية فى العالم إلى أن الوقت قد حان للالتقاء بالإسلام وأن نعيش رؤية توحيدية للتاريخ التى كان إبراهيم وموسى ومحمد فيها دعوات تنبيه واستيقاظ. وبالإسلام نتجاوز شرائع الغاب ونبنى مجتمعا لا يمكن أن يوجد بدون الإيمان.. والثورة الإسلامية فى مرماها العميق مختلفة تمام الاختلاف عن الثورات الغربية سواء الثورة الفرنسية البرجوازية عام ١٧٨٩ أم الثورة الروسية الاشتراكية عام ١٩١٧.. لأنها ثورة قائمة على العدل والحرية الإنسانية..

وتساءل جارودى ما الذى يمكن أن يتعلمه العالم من الإسلام؟.

وأجاب: إن الإسلام عقيدة تلهم وتحرك.. وليس فى الإسلام عداء للمسيحية. والقرآن يذكر المسيح والسيدة مريم باحترام وإجلال، وفى القرآن الكريم: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ (سورة المائدة - الآية ٤٦)..

وقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ (سورة النساء - الآية ١٧١)..

وهذا يعنى أن الإسلام لا ينكر ولا يعادى المسيحية.. فلماذا يظن مفكرو الغرب أن عليهم معاداة الإسلام..؟.

وأثار جارودى ثائرة أعداء الإسلام فى الغرب حين أعلن: دعونا نفكر فى حلم عظيم، بأن نرى الأمم الغربية الكبرى التى ازدهر فيها الإسلام مثل قرطبة، وباليرمو، وباريس، لتعود هذه الأماكن مراكز لقاء لنشر ما يقوله الإسلام لنا.. إن التعاليم القرآنية تساعدنا على أن نكتشف الإنسان من جديد، لندرك أن الإنسان يحمل فى ذاته جميع درجات الوجود، وينطوى فيه العالم الصغير، والإنسان هو الذى حمل مسئولية الضمير والعقيدة: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ ﴾

(سورة الأحزاب - الآية ٧٢).. فالإنسان فى مفهوم الإسلام هو خليفة الله فى الأرض، مكلف بالمحافظة على توازن العالم، وأمامه كل ما فى الكون آيات تدل على حضور الواحد الأحد.

هكذا أسس جارودى إيمانه بالإسلام على فلسفة متكاملة تكاملت فيها حقائق الواقع بحقائق الإسلام.. وكان ذلك أهم أسباب الحملة التى وصلت إلى حد تهديده بالقتل، ثم تقديمه إلى المحاكمة بتهمة معاداة السامية بعد أن كشف بالتحليل والدليل بطلان الأساطير المؤسسة لإسرائيل.. وأولها : أسطورة أن فلسطين هى (أرض الميعاد) التى وعد الله بها اليهود، وثانيها : أسطورة أن اليهود هم (شعب الله المختار)، وثالثها : أسطورة التطهير العرقى فى سفر يشوع، ورابعها : أسطورة معاداة الصهيونية للفاشية، وخامسها : أن ضحايا الهولوكوست من اليهود بلغوا ستة ملايين يهودى، وسابعها : أن فلسطين (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض)، وأخيرا أسطورة المعجزة الإسرائيلية.

بذلك تجمع تيار المعادين للإسلام وتيار اللوبى الصهيونى، وتمت محاكمة جارودى طبقا لقانون فرنسى معروف باسم (قانون فابيوس - جيسو) وحكمت عليه المحكمة بغرامة ٢٠ ألف دولار، واستأنف جارودى الحكم وكانت القضية مناسبة انتهزها اللوبى الصهيونى ليعلن مدى قوته ونفوذه حتى إن جماعات صهيونية كانت تتجمع أمام المحكمة للاعتداء على الصحفيين ومراسلى شبكات التليفزيون من الدول العربية والإسلامية، وعدد منهم نقل إلى المستشفى مصابا بكسور ونزيف، وتلقى جارودى تهديدات بالقتل، وتم الاعتداء على المكتبات التى تبيع كتبه فى فرنسا وسويسرا واليونان حتى امتنعت عن بيعها، بالرغم من أن جارودى لم يطعن فى الديانة اليهودية، ولا فى التوراة، ولا فى أنبياء بنى إسرائيل، وكل ما حوكم بسببه هو دعوته إلى مراجعة لرقم ستة ملايين عدد ضحايا النازى من اليهود.. وصدر الحكم بسجن جارودى واستأنف الحكم أمام المحكمة الأوربية لحقوق الإنسان.. وكل ذلك لأن الرجل أعلن اختياره للإسلام فى وسط معاد للإسلام، وحاول مناقشة وقائع تاريخية مناقشة علمية ! !

أما الرجل الذى حظى بتكريم الزعماء والمثقفين وربح ملايين الدولارات من كتاب واحد فهو سلمان رشدى.

سلمان رشدى مؤلف رواية (آيات شيطانية) اكتسب شهرة هائلة وغمرته أضواء الإعلام في دول الغرب لأنه لم يترك شخصية من شخصيات الصحابة إلا وجه إليها السباب والشتائم والاتهامات بألفاظ بذيئة، وأشار إلى الرسول ﷺ باسم (ماهاوند) وصوره على أنه رجل شرير، ونبى مزيف مصاب بالصرع والهلوسة، ولا يتورع من أى عمل ليحقق أغراضه مهما يكن متعارضا مع الأخلاق، ويصور زوجات الرسول أمهات المؤمنين رضى الله عنهن غانيات يعملن في بيت للدعارة يحمل اسم (الحجاب) وكبيرتهن تروى كيف تزوجها النبى ﷺ هى والسيدة عائشة في يوم واحد، ويقول عن الرسول ﷺ إنه نبى الجاهلية، ويقول: إن جبريل كبير الملائكة من مؤيدى اللواط، بذىء اللسان، وأن الشيطان خدع الرسول ﷺ وأجرى على لسانه آيات تجعل لأوثان الجاهلية اللات والعزى ومناة شفاعة ترتجى، ويقول أيضًا: إن الصحابى الجليل سلمان الفارسى – رضى الله عنه – قام بتزوير الوحى وخداع الرسول ﷺ.

هذا الكاتب البذىء الذى كان يصنف على أنه مؤلف روائى من الدرجة الثانية، أصبح أشهر مؤلفى الروايات، بعد أن قدم هذه الرواية المليئة بألفاظ وقحة، وبدلا من محاكمته بتهمة الإساءة إلى عقيدة دينية، حظى بالتكريم، وحصل على الجوائز، وقامت الحكومة البريطانية بتخصيص حراسة مشددة عليه حرصًا على حياته كلفت الخزانة البريطانية عشرات الملايين من الجنيهات الإسترلينية.. ودعاه رئيس الوزراء البريطانى (تونى بلير) للعشاء في منزله، واستقبله رئيس الولايات المتحدة (بيل كلينتون) فى مكتبه فى البيت الأبيض، وأعلن الرئيس الأمريكى أن تكريمه لهذا الكاتب هو تعبير عن وقوف أمريكا خلف حرية الرأى وسلمان رشدى، بعد أن انحسرت عنه الأضواء عاد إلى الأضواء مرة أخرى بمقال نشره فى صحيفة (نيويورك تايمز) يوم ٢ نوفمبر ٢٠٠١ بعنوان (نعم، هذا عن الإسلام) قال فيه: إن قادة العالم يرددون القول بأن الحرب التى أعلنتها الولايات المتحدة ليست حربا على الإسلام، وهدفهم من ذلك تخفيف الهجمات الانتقامية التى يلاقيها المسلمون فى الغرب، ويريد هؤلاء القادة الحفاظ على الائتلاف ضد الإرهاب مع أن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تفترض براءة الإسلام من الإرهاب من حيث المبدأ والمشكلة أن إنكار الصلة بين

الإرهاب والإسلام لا يعبر عن الحقيقة، وإذا لم يكن الإسلام هو الإرهاب فلماذا قامت كل هذه المظاهرات من المسلمين في أنحاء العالم لتأييد أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة، ولماذا احتشد عشرة آلاف من الرجال المسلحين بالسيوف والفئوس على الحدود الباكستانية الأفغانية مستجيبين لدعوة زعيم طالبان وزعيم القاعدة بالجهاد؟.. ولماذا كان أول ضحايا بريطانيا في الحرب على الإرهاب في أفغانستان ثلاثة (مجاهدين) مسلمين بريطانيين قتلتهم القوات الأمريكية وهم يقاتلون مع طالبان؟..

هكذا، ومنذ البداية يؤكد سلمان رشدى بكلمات قاطعة أن الإسلام دين يرتبط بالإرهاب، وبالتالى فإن الحرب على الإرهاب يجب أن تكون حربا على الإسلام دون مواربة، ولكي يقدم أوراق اعتماد جديدة إلى أعداء الإسلام في الغرب زور الحقائق.. وادعى أن المظاهرات قامت في العالم الإسلامى لتأييد ابن لادن وطالبان والقاعدة بينما الحقيقة أن المظاهرات في العالم الإسلامي قامت احتجاجا على المجازر التي أقامها شارون للفلسطينيين، والحرب التي أعلنها على هذا الشعب الأعزل الذي يطالب بإنهاء الاحتلال والحصول على الاستقلال وإقامة دولته ليعيش حرا في وطنه كسائر شعوب العالم.. قلب سلمان رشدى الحقيقة. المظاهرات قامت لتأييد الشعب الفلسطيني في نضاله من أجل الحرية، فادعى أنها كانت لتأييد منظمات وقادة الإرهاب ليثير الغرب على المسلمين ويكسب من وراء ذلك ثروة جديدة باعتباره أداة الغرب في الهجوم على الإسلام القادر على اصطناع الأكاذيب التي تنطلي على العامة في الغرب.

ومضى سلمان رشدى في مقاله يقول: لماذا هذه المعاداة للسامية التي جعلت المسلمين يرددون الافتراءات بالقول بأن اليهود هم الذين خططوا للهجمات على مركز التجارة العالمي والبنتاجون.. وبما يردده أنصار طالبان والقاعدة من أن هذين التنظيمين ليست لديهما قدرات أو مهارات تكنولوجية لتنفيذ مثل هذا العمل المعقد، ولماذا يقول (عمرو خان) البطل الرياضي الباكستاني الذي تحول إلى السياسة إنه يطالب الولايات المتحدة بتقديم الأدلة على مسئولية القاعدة عن هذه الهجمات؟ ولماذا ينشرون تهديدات قادة تنظيم القاعدة للغرب بأسراب الطائرات وتحذير المسلمين في الغرب من السكن أو العمل في المباني المرتفعة؟..

ولماذا كل هذا الحديث عن الكفار من العسكريين الأمريكيين والقول بأنهم يدنسون التراب المقدس للسعودية؟.

يقول سلمان رشدى إجابة عن هذا التساؤلات المغرضة: بالتأكيد إنه الإسلام، ثم يسأل ماذا يعنى ذلك بالضبط؟.. ويجيب: إن معظم المسلمين ليسوا متعمقين فى فهم القرآن، وإيمانهم ليس قائمًا على الفهم والتحليل. وبالنسبة لمعظم المسلمين المتدينين يمثل الإسلام بالنسبة لهم الخوف من الله أكثر من حب الله، ويخضعون لمجموعة من الآراء، والعادات والممارسات بدون وعى، وهمهم ينصب على عزل المرأة. ويلقى شيوخهم الخطب التى تثير فى المسلمين الاشمئزاز من الحياة الحديثة، وكراهية المجتمعات المتقدمة لأنها مليئة بالكفر والجنس والموسيقى.. ويثيرون فى نفوسهم المخاوف من أن تنتشر فى المجتمع الإسلامى أساليب الحياة الغربية المتحررة. والمنظمات الإسلامية متورطة فى حركات سياسية راديكالية على مدى الثلاثين عاما الماضية، وهؤلاء الإسلاميون السياسيون هم الإخوان المسلمون فى مصر، والقاتلون ذوو الأيدى المخضبة بالدماء فى جبهة الإنقاذ الإسلامية، والجماعة الإسلامية المسلحة فى الجزائر، والشيعة الثوار فى إيران، وطالبان، والفقر هو الذى يعاونهم، وجنون الاضطهاد لدى المسلمين ليس إلا ثمرة جهودهم.. وهذا هو (الإسلام المضطهد) الذى يلقى باللوم على الأجانب (الكفار) فى كل المحن التى تعيش فيها المجتمعات الإسلامية، وليس هناك حل سوى دفع هذه المجتمعات الإسلامية دفعا نحو الاقتراب من العالم وتنفيذ مشروع لتحديث هذه المجتمعات المتخلفة.

ويستطرد سلمان رشدى فى مقاله فيقول: إن هذا ليس تأييدا لنظرية صموئيل هنتجنتون عن صدام الحضارات، لسبب بسيط هو أن مشروع الإسلام السياسى لم يعد مقصورا على العداء للغرب ولليهود، ولكنه أصبح موجهًا ضد المسلمين أيضًا.. ومهما كان الظاهر فإن هناك قدرا من التعاون بين طالبان والحكم فى إيران.

ويقول أيضا: إن الدول الإسلامية فيها استياء من الغرب وفى نفس الوقت فإن الخلافات فيما بينها لا تقل عن خلافاتها مع الغرب.. ومن السخف إنكار أن

الإسلام مصاب بجنون الاضطهاد، ويبرئ نفسه من الجرائم التى يرتكبها، وهو فى نفس الوقت أيديولوجية تحظى بإعجاب واسع وانتشار.

ويقول سلمان رشدى: منذ عشرين عامًا، عندما كنت أكتب رواية عن الصراع على السلطة فى باكستان، كان من الأمور الضرورية فى العالم الإسلامى إلقاء اللوم على الغرب دائمًا ونسبة كل محنة تصيب المسلمين إلى الغرب، وخاصة الولايات المتحدة، وفى ذلك الوقت، وكما هو الحال الآن، كانت بعض هذه الانتقادات قائمة على أساس من الصحة، وليس من المفيد لأمريكا تكرار سياسات الحرب الباردة، والسياسة الخارجية المدمرة لأمريكا ودورها فى إنشاء وتأسيس نظم الحكم البغيضة ودعم القادة المكروهين من شعوبهم، ومع ذلك أليس من واجب المسلمين أن يتحملوا مسئوليتهم عما يصيبهم من الفشل والهزائم ويتعلموا كيف يواجهون مشاكلهم ويتغلبون عليها بأنفسهم؟. وإن كان كثير من المسلمين والمحللين العلمانيين الذين لهم جذور فى العالم الإسلامى يسألون مثل هذه الأسئلة الآن، ويتردد على ألسنة بعض الكتاب المسلمين القول (نعيب زماننا والعيب فينا، وما لزماننا عيب سوانا) وكتب مسلم بريطانى يقول: (الإسلام أصبح عدو نفسه).. وقال لى صديق لبنانى عائد من بيروت: إن النقد ازداد بدرجة كبيرة للإسلام السياسى فى أعقاب هجمات الحادى عشر من سبتمبر، ويتحدث كثير من المعلقين الآن عن الحاجة إلى الإصلاح فى العالم الإسلامى.. ويذكرنا ذلك بما كان يقوم به الاشتراكيون غير الشيوعيين من نقد للاشتراكية السوفيتية الاستبدادية، وكان لهؤلاء أهمية كبيرة، ولذلك فمن الضرورى تشجيع الأصوات التى تدعو إلى المصالحة بين الإسلام والحداثة، لكى تعلو هذه الأصوات أكثر وتطغى على غيرها.. حتى تدرك المجتمعات الإسلامية أن تقدمها واقترابها من الحضارة الحديثة مرتبط بالفصل بين الدين والسياسة، وإدراك أن الدين مسألة شخصية، لا تتجاوز النطاق الشخصى.. ويتحتم على العالم الإسلامى تبنى المبادئ العلمانية الإنسانية التى تمثل الأساس للحضارة الحديثة والتى بدونها ستظل الحرية فى الدول الإسلامية حلما بعيد المنال.

هكذا انتقل سلمان رشدى من الهجوم على الإسلام واتهامه بأنه دين زائف، وعلى نبى الإسلام واتهامه بالتضليل واتهام مبادئه بأنها سفسطة وخرافات، إلى

هجوم جديد يناسب الظروف بالقول بأنه دين يتضمن التحريض على الإرهاب، والهجوم على المجتمعات والدول الإسلامية بأنها متخلفة لأنها متمسكة بالإسلام.. ويمضى فى النفاق فيدعى أن المسلمين أعداء الغرب وأعداء اليهود أيضا! وذلك لكى يرضى عنه اللوبى الصهيونى. وبذلك يضمن سلمان رشدى أن يظل موضع اهتمام فى الغرب ما دام يقدم كل هذه الخدمات لتشويه الإسلام وتغذية الكراهية للمسلمين.

وما يقوله سلمان رشدى ليس إلا صياغة جديدة لما أعلنه مؤخرًا رئيس الوزراء الإيطالى سيليفيو بيرلسكونى فى مؤتمر صحفى وقال فيه: (إننا يجب أن نكون على دراية بسمو حضارتنا القائمة على ضمان الوجود واحترام حقوق الإنسان وتوفير مستوى المعيشة المناسب، على عكس ما يحدث فى الدول الإسلامية... إن النظام فى الغرب يحترم الحقوق الدينية والسياسية ويحترم قيم التسامح واختلاف الآراء، ولذلك سوف يستمر انتصار الغرب على الشعوب المتخلفة كما هزم الشيوعية حتى لو كان ذلك يعنى مواجهة حضارة أخرى مثل الإسلام الذى ظل جامدًا منذ ١٤٠٠ سنة).

وجاءت تصريحات بيرلسكونى لتكشف مدى الكراهية والعداء للإسلام، ولم يستطع إخفاء حقيقة مشاعره رغم أن موقعه السياسى يفرض عليه الكياسة واستخدام لغة هادئة وعدم إظهار العداء لدول ترتبط ببلاده بمصالح اقتصادية وبروابط ثقافية، ولم يضع فى اعتباره التوقيت الذى أطلق فيه هذا الهجوم على الإسلام وصوره على أنه دين جامد ومتخلف وقائم على قيم تتعارض مع حضارة الغرب، وعلى الغرب أن يعلن الحرب عليه كما حارب الشيوعية.. كل هذا فى الوقت الذى يتعرض فيه العرب والمسلمون فى أوروبا وأمريكا لاعتداءات انتقامية.. مما دعا صحيفة هيرالد تريبيون إلى كتابة مقالها الافتتاحى يوم ٢ أكتوبر ٢٠٠١ بعنوان: (حديث صريح إلى بيرلسكونى) قالت فيه: إنه مما يزيد الأمر سوءًا أن هذه التصريحات صدرت على لسان رئيس دولة حليفة كبرى للولايات المتحدة، وأفسد بذلك محاولات الزعماء الغربيين للتفرقة بين الحرب على الإرهاب والحرب على الإسلام، فجاء بيرلسكونى ليرفض هذا التمييز، مما يؤدى إلى تحويل المعركة من معركة بين الإنسانية والإرهاب لتصبح

مواجهة أبدية لا يمكن لأحد أن يتحملها أو يرغب فى الخوض فيها، والأجدى القول بأن الحرب هى فقط على الذين يرفعون السلاح ضد المدنيين بغض النظر عن انتماءاتهم وعقائدهم الدينية، وعدم القدرة على رؤية هذا التمييز الواضح يعنى أن نكون مثل أسامة بن لادن فى دعوته للجهاد.

صحيح أن بيرلسكونى عاد بعد أيام ليقول إنه يأسف إذا كانت نظرياته تؤذى مشاعر العرب والمسلمين.. ولكن هل يكفى ذلك للاقتناع بأن القلوب فى الغرب فيها ما فيها من كراهية وعداء للإسلام والمسلمين.

تزداد الحملة على الإسلام إلى الحد الذى دفع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم (الايسيسكو) إلى عقد ندوة فى لندن يومى ٢١ و٢٢ يونيو ٢٠٠٢ رأسها الدكتور عبد العزيز التويجرى المدير العام للمنظمة، ودارت مناقشات هذه الندوة حول أربعة محاور هى: أولا: الصور النمطية وتشويه الحقائق فى الغرب عن الإسلام، وثانيا: إلى من ينتمى الإرهاب؟ وهل الإسلام هو المسئول عن الإرهاب أو سياسات الغرب وإسرائيل؟.. وثالثا: فلسطين بين سطوة الاحتلال وصمت العالم، ورابعا: الغرب والعالم الإسلامى تعاون أم مواجهة؟

وأعلن فى هذه الندوة أن أغلب وسائل الإعلام الغربية تبتعد عن مبادئ الإعلام النزيه الموضوعى المنصف الذى يلتزم بالحقيقة.. ويظهر الآن أمام الجميع أن الرأى العام فى الغرب يتلقى معلومات تثير فيه البلبلة وسوء الظن، وتنشر فى الصحف وتبث فى التليفزيونات أخبار، وتقارير وموضوعات عن المجتمعات الإسلامية تظهر صورة الإسلام بشكل منفر ومخيف، ويؤدى ذلك إلى تأزم العلاقات بين دول وحكومات وشعوب الغرب والمسلمين.. ويؤدى كذلك إلى توسيع دائرة الاختلاف وصعوبة الفهم عند كل جانب للآخر، وسيؤدى ذلك إلى إضرار بالمصالح المشتركة للطرفين، اقتصاديا، وسياسيًا.

وأهم من ذلك أعلن أن منظمة (الايسيسكو) قامت بدراسات ميدانية وإحصائية لما تنشره الصحف والمجلات وتذيعه محطات الإذاعة والتليفزيون فى دول الغرب. وفى أوروبا وأمريكا وبعض بلدان أمريكا اللاتينية، وكشفت هذه الدراسات أن صورة الإسلام والمسلمين فى وسائل الإعلام الغربية مشوشة ولا تعبر أغلبها عن حقيقة الإسلام والمجتمعات الإسلامية، وتتكرر هذه الصورة النمطية

لتشويه الإسلام عن قصد أو عن قلة معرفة، أو نتيجة للاعتماد على مصادر غير موثقة تتعمد تشويه الحقائق لأغراض ليست بريئة، والصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين فى الإعلام الغربى ترتبط فى أغلبها بالإرهاب، بحيث يرتبط الإسلام فى الذاكرة الجماعية للشعوب الغربية بالإرهاب فى حين لا نجد فى الإعلام الغربى مثل هذا الربط بين الإرهاب وأى دين من الأديان الأخرى.

قيل أيضًا: إن الإسلام خسر كثيرًا ولا يزال يخسر الكثير نتيجة الاتهامات الموجهة إليه من كل الأطراف بالضلوع فى عمليات الإرهاب وتصديره، بينما الحقيقة التى يتم تجاهلها هى أن الإسلام فيه إدانة واضحة للإرهاب، ورفض لقتل الأرواح البريئة، وترويع الناس، والقرآن يؤكد على أن من قتل نفسا بغير حق كأنما قتل الناس جميعًا، والإسلام يلزم المسلمين بالمحافظة على الحياة الإنسانية، حتى حياة الجنين فى بطن أمه مما لم تصل إليه القوانين الدولية إلى اليوم، وأن الشجاعة الأدبية وروح العدل والإنصاف تقتضى أن يتصف الإعلام الغربى بالشجاعة الأدبية لتصحيح هذه الصورة بناء على الحقائق ويعترف بما ردده من الأكاذيب.

وفى هذه الندوة تحدث مايك اوبراين وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية فقال: إن هناك تشويها، ومعلومات غير صحيحة فى الصورة التى تقدمها بعض وسائل الإعلام فى الغرب عن الإسلام والمسلمين، وألقى بالمسئولية فى ذلك على المسلمين أيضًا لأنهم يجب عليهم أن ينشطوا لتوضيح صورة الإسلام، ونشر المعلومات الصحيحة عنه بين الرأى العام الغربى.. وقيل كلام كثير على هذا المنوال، وفى ختام الندوة لخص الدكتور التويجرى نتائج المناقشات فقال: لقد خرجنا من هذه الندوة بتصور للمشهد الإعلامى الغربى وتعامله مع الإسلام وقضايا العالم الإسلامى، فوضحت لنا معالم الصورة النمطية غير الصحيحة التى تروجها بعض وسائل الإعلام فى الغرب عن الإسلام والمسلمين، واستخلصنا من المناقشات وأوراق العمل أن الازدراء المتعمد بالدين الإسلامى سيؤدى إلى الإضرار بالمصالح المشتركة بين الغرب والعالم الإسلامى، والإضرار كذلك بالأمن والاستقرار فيهما، ولابد من أن نبدأ صفحة جديدة من علاقات التعاون فى إطار الاحترام المتبادل.

لكن ندوة واحدة مهما تكن لن تفلح فى إزالة الركام من العقد النفسية ومخلفات القرون من سموم الفكر الغربى، والأفكار المسبقة وسوء الظن والشك والاتهامات الباطلة والشبهات التى لا تقوم على أساس.. ولا تغير التصرفات والمواقف المعادية للإسلام.

ندوة واحدة لا تكفى..

والدفاع عن الإسلام باللغة العربية بين المسلمين فى العالم الإسلامى لا يجدى.

obeikandl.com

obeikandl.com

الحرب العالمية الثالثة على من ؟

من يتابع ما ينشر فى الغرب عن الإسلام والمسلمين لابد أن يصاب بالذهول.

إنهم يتحدثون عن إسلام غير الإسلام الذى نعرفه ونؤمن به ونعيش فى ظلاله.

إنهم يتحدثون عن إسلام ملىء بالشرور والكراهية والعنف والعدوان. إسلام يزرع الخوف وينشر الإرهاب فى جميع أنحاء العالم.

وكنا نقرأ ما تنشره الصحافة فى الولايات المتحدة ودول أوروبا من مقالات معادية للإسلام والمسلمين ونظن أنها مجرد آراء شخصية لكتّابها، وأنها أفكار مشوهة ناتجة عن الجهل والتأثر بالدعايات المعادية التى نعرف مصدرها، والتى لا نعرف مصدرها حتى الآن، ولكن الآن وقد انتقل موضوع الصراع بين الغرب والإسلام من موضوع للصحفيين والمفكرين إلى موضوع للسياسيين والعسكريين، فإن الأمر يدعو إلى القلق الشديد، والخوف مما يمكن أن يحدث، وكعادتنا نحسب أن ما سيحدث سيكون مفاجأة بينما ليس فى الأمر مفاجأة، وهم يعلنون كل نواياهم ولا يخفون شيئًا، ربما اعتمادا على أن العرب والمسلمين لا يقرءون، وإذا قرءوا لا يفهمون، وإذا فهموا لا يصدقون، وإذا صدقوا لا يعملون، كما قال عنهم موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى ذات يوم.

صحيفة التايمز البريطانية نشرت مقالا فى ٢٠ سبتمبر عام ١٩٩٩ كتبه وليام ريس موج بعنوان: (التوقعات عن صراع عالمى بسبب الإسلام أثبتت دقتها بصورة تبعث على الفزع) قال فيه: إن العنف سوف ينتشر فى جميع أنحاء العالم، وإن هناك تهديدات تنذر بما هو أسوأ، وإن ما نراه من حوادث العنف فى دول العالم لا تقع لأسباب محلية خاصة بكل دولة، ولكنَّ وراءها أسبابا أكبر وأوسع ليست المسئولة عنها الولايات المتحدة أو الأمم المتحدة. فإن الصراع والعنف فى تيمور الشرقية، وكوسوفا، والعراق، وكشمير، كلها أجزاء لمشكلة عالمية واحدة وجميعها صراعات بين دول إسلامية وجماعات عرقية أو ثقافات أخرى. وحتى

صانع السلام العربى الملك حسين عاهل الأردن الراحل قال: إن حرب الخليج كانت حربا ضد كل العرب وكل المسلمين وليست ضد العراق وحده.

ويقول المقال: إن الغرب متورط فى الصراع فى تيمور الشرقية، لأن أبناءها يدينون بالكاثوليكية، والصراع فى كشمير بين باكستان الإسلامية والهند الهندوسية، والصراع فى الشيشان بين الإسلام وروسيا وهى قلب الأرثوذكسية السلافية، وتمثل كوسوفا وضعا غير عادى، فهو صراع بين الإسلام والأرثوذكسية السلافية.

نعود إلى نظرية صمويل هنتنجتون عن صراع الحضارات التى نشرها عام ١٩٩٣ فى مجلة (فورن افيرز) ثم طورها فى كتاب كامل وقال فيها: إنه بعد انتهاء الحرب الباردة سوف تسيطر الصراعات بين الحضارات. وقال إن (الإسلام تحيط به حدود دموية). ويقول كاتب المقال: يبدو أن ما يحدث فى تيمور الشرقية والشيشان وكوسوفا والعراق وكشمير يؤكد هذه الملاحظة وسواء اعتقد المرء ذلك أم لم يعتقد فإن اللوم يقع على الإسلام!

وفى عام ١٩٩٦ قدم هنتنجتون وجهة نظره فى كتاب بعنوان (صراع الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمى) وصفه هنرى كيسنجر بأنه يقدم إطارا جريئا لفهم السياسات العالمية فى القرن الحادى والعشرين، وقال كيسنجر: إن تحليلات هنتنجتون تثبت صحتها ودقتها إلى درجة تنذر بالخطر. وتتلخص نظريته فى أن الحضارات الرئيسية المعاصرة هى الحضارات الصينية، واليابانية، والهندوسية، والإسلامية، والأرثوذكسية، والغربية (أوروبا وأمريكا) وحضارة أمريكا اللاتينية، والحضارات الأربع الكبرى فى العالم هى الحضارات الصينية، والهندوسية، والإسلامية، والحضارة الغربية، وكل من هذه الحضارات تضم حوالى مليار نسمة، وكل حضارة منها لها دين مؤسس لها تشكلت وتبلورت حوله، وهذه الديانات هى: الإسلام، والمسيحية، والكونفوشية، والهندوسية، وتعتبر كل من الصين والهند قلبا أو محورا لحضارة كل منهما، أما الغرب فينظر إليه على أنه منقسم إلى محورين رئيسيين هما: الولايات المتحدة وأوروبا. وبالنسبة للإسلام فليست هناك دولة تمثل قلب أو محور حضارته، وهذا ما يجعل من الصعوبة فهم الإسلام وحضارته بالنسبة لمن هم خارج هذه الحضارة،

ويقول هنتنجتون أيضا: إن صراع الإسلام والغرب يثير مشكلات ضخمة للعالم بطريقة أو بأخرى.

ويقول المقال: إن الغرب يطالب بسيطرة فريدة على العالم، والمبرر لذلك أنه يمثل القوة العالمية القائمة على أساسين هما: تفوق التكنولوجيا الأمريكية، وتفوق الأيديولوجية العالمية القائمة على الليبرالية وحقوق الإنسان. وتنظر الحضارات الأخرى إلى الغرب على أنه يمتلك قوة عسكرية واقتصادية خطيرة، ولكنه منهار من الناحية الاجتماعية. ويتمثل هذا الانهيار الاجتماعي في التفكك الأسرى، وعدم التمسك بالمعتقدات الدينية، وانتشار الجريمة، والمخدرات، وارتفاع نسبة المسنين، وانتشار البطالة.. أما الغرب فإنه ينظر إلى نفسه على أنه نموذج لحضارة القرن الحادى والعشرين، وتنظر إليه الحضارات الأخرى على أنه نموذج سيئ يحسن تجنبه وليس محاكاته.

ويقول هنتنجتون: إن الغرب يسيطر على العالم الآن سيطرة كاملة، وسيظل مسيطرا ومتفوقا في القوة خلال القرن الحادى والعشرين، إلا أن التغييرات التدريجية والحتمية الأساسية تؤثر أيضا على توازن القوى بين الحضارات وستأخذ قوة الغرب في الاضمحلال. فخلال خمسة وسبعين عاما من ١٩٢٠ حتى ١٩٩٥ تراجعت السيطرة السياسية للغرب على المناطق العالمية بنسبة ٥٠٪، وتراجعت نسبة من يسيطر عليهم الغرب من سكان العالم ٨٠٪، وتراجعت سيطرة الغرب على الصناعة العالمية بنسبة ٣٥٪، أما سيطرة الغرب على القوة العسكرية فقد تراجعت بنسبة ٦٠٪.

وحين يتحدث هنتنجتون عن الإسلام يقول: إن في العالم ٤٥ دولة مستقلة تنضوى تحت راية الإسلام، وهو أقوى الديانات العالمية من حيث سيطرته الثقافية على المؤمنين به، كما أنه دين له ميزة اقتصادية كبرى، هى أنه يسيطر على معظم احتياطى البترول العالمى، ولن ينضب هذا البترول إلا بعد سنوات طويلة جدا، ولا يزال الإسلام يمر بمرحلة النمو السكانى السريع، ومن المتوقع أن يشكل المسلمون ٣٠٪ من سكان العالم فى عام ٢٠٢٥، وقد تسببت الهجرة من الدول الإسلامية إلى دول أوروبا فى ردود فعل شديدة فى أوروبا، حتى إن نصف

عدد الأطفال في بروكسل – مقر الاتحاد الأوروبي – يولدون من أمهات عربيات، ويشكل الشباب المسلم الساخط العاطل عن العمل تهديدا لأوطانهم الأصلية ولدول الغرب التي هاجروا إليها.. أما الصحوة الإسلامية الجديدة فقد منحت المسلمين الثقة في شخصيتهم المميزة، وفي الإحساس بأهمية حضارتهم، وفي القيم الإسلامية بالمقارنة بالقيم والحضارة الغربية، ومما يثير الغضب بين المسلمين أن الغرب يعمل على نشر القيم والمؤسسات الغربية في العالم، ويسعى إلى التدخل في الصراعات القائمة في العالم الإسلامي، ويقول أيضا: إن الخطر يكمن في التفاعل بين هذه الصحوة والثقة الإسلامية التي تدعمها الزيادة السكانية المستمرة وبين مخاوف الحضارات المجاورة، وهذه الحضارات المجاورة لحضارة الإسلام لديها شعور كامل بالخوف من التهديد الإسلامي.. الغرب قلق بسبب البترول وهواجس الانتشار النووي في الدول الإسلامية، والهجرة من الدول الإسلامية، كما يشعر الغرب بالقلق على إسرائيل، والانتقاص من حقوق الإنسان في الدول الإسلامية. وكذلك فإن روسيا تشعر بالتهديد الإسلامي بصورة مباشرة، ويتمثل في انفصال الدول الإسلامية والمطالبة المسلحة للشيشان بالاستقلال، وكذلك يخشى الصرب من قيام (ألبانيا العظمى). وتخشى الهند من باكستان، ومن جاذبية الإسلام لنحو مائة مليون مسلم في الهند واحتمال انسلاخهم منها، والصين أيضا تشعر بالقلق تجاه المسلمين في آسيا الوسطى ومن مطالبة المسلمين في إقليم سنكيانج الصيني بالانفصال، والصينيين في إندونيسيا، بل إن سكان أفريقيا جنوب الصحراء من غير المسلمين لديهم مخاوف أيضا تجاه الإسلام.

أما مستقبل العلاقة بين الحضارات الأربع: الحضارة الغربية وحضارة الصين وحضارة الهند والحضارة الإسلامية فإن هنتنجتون يرى أن الصراع بينها حتمي، ويرى أن الإسلام يمثل مشكلة ليس لها حل، وليس أمام الغرب إلا أن يظهر تفهما أكبر للصحوة الإسلامية لأن هذه الصحوة سوف تتطور في المستقبل أكثر مما هي عليه الآن، وعلى الغرب أن يغير ردود فعله تجاه هذه الصحوة الإسلامية لأن موقف العجرفة والشعور بالتفوق الثقافي ومشاعر العداء الصريحة من جانب الغرب تجاه الإسلام هي أسوأ ردود فعل ممكنة، وإن كان هنتنحتون يصل أخيرا

إلى التنبؤ بأن الدول المجاورة للإسلام ستفعل كما حدث فى صربيا وتتصدى للصحوة الإسلامية، وكما كان الخوف من الألبان المسلمين هو الذى أتى بميلوسيفيتش عام ١٩٨٧ إلى السلطة على أمل أن يقضى بالمذابح على المسلمين، ولكن لن يجد العالم أن الأمر سهلا حين يسعى إلى تحجيم (الحدود الدموية) للإسلام وعدم اتساعها.

وهكذا فإن الخوف من الإسلام واعتباره هو (العدو) للحضارة الغربية وللحضارات الأخرى أصبح قائما على أساس نظرية متكاملة، لها جذور تاريخية قديمة، اكتملت وتبلورت على يد صمويل هنتنجتون أستاذ الدراسات الدولية في جامعة هارفارد .. النظرية إذن نظرية أمريكية.. وهي في حقيقتها ليست إلا تبريرا فلسفيا للحرب ضد الإسلام.. وقد ينكر بعض الأمريكيين أنهم يعتقدون فى صحة هذه النظرية.. ولكن ما تفعله أمريكا ليس إلا التطبيق العملى لها، وإن كان المسلمون حتى الآن لا يصدقون أن هذه النظرية يمكن أن يؤمن بها أحد، لأنهم ما زالوا يؤمنون بمبدأ الحوار والتعاون بين الحضارات استلهاما من قوله الله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾ (سورة الحجرات-١٣) فالمسلمون - وفقا لما علمهم ربهم - يمدون أيديهم إلى كل من يختلف معهم فى الدين واللغة والثقافة لأنهم - كما فى عقيدتهم الدينية - ينتمون فى النهاية إلى نفس الأصل (كلكم لآدم). والاختلاف بين الحضارات يمثل حكمة الله لكي تتفاعل هذه الحضارات المختلفة وتتبادل المنافع.. هذا هو المفهوم الإسلامى.. أما المفهوم الغربى فهو فى هذا القرن -كما عبّر عنه هنتنجتون، وكما نرى فى كتابات المفكرين والمحللين، وتصريحات السياسيين، ومواقف الدول الغربية، وكما نرى على أرض الواقع..- حوار بالصواريخ والطائرات والقنابل الذكية وآلة الحرب الهائلة التى تتحرك لتدمير دول إسلامية.

والدليل على نظرية هنتنجتون عن حتمية الصراع بين الإسلام والحضارة الغربية ما نراه فى مناهج تدريس التاريخ للتلاميذ فى أمريكا والدول الغربية، من تصوير المسلمين وفقا لأنماط ذهنية ثابتة Stereotypes فى الوعى الأمريكى والأوربى تعكس التحيز وفقدان الموضوعية عند الحديث عن الإسلام والمسلمين،

وفي دراسة للدكتورة فوزية العشماوى للكتب المدرسية فى المناهج الأمريكية والأوربية أن ما يدرسه التلاميذ عن الإسلام والعالم الإسلامي لا يزيد على ٣٪ من المقرر الدراسي و٩٧٪ من المقرر مخصصة لتاريخ أوروبا وأمريكا، وفى الغالب يكون الجزء المخصص للعالم الإسلامى فى إطار بلاد العالم الثالث سواء من الناحية الجغرافية أم التاريخية، أم فى إطار توزيع الثروات الطبيعية فى العالم وخاصة البترول، بينما تجعل المناهج من أوروبا وأمريكا المحور الذى تدور حوله الأحداث التاريخية المهمة وكأن الدول الإسلامية هوامش أو زوائد، ويتبين ذلك من إغفال الأحداث التاريخية المهمة التى تعتبر علامات ثابتة فى التاريخ العربى والإسلامى، ويتم التركيز فقط على الأحداث التى تبرز تفوق الغرب وانتصاره على المسلمين، مما يؤكد حرص واضعى المناهج الدراسية على غرس الاتجاه لرفض (الآخر) العربى والمسلم، على أساس أنه مختلف عن الإنسان الغربى، وعدم تفهم دوره فى التاريخ وقيمة هذا الدور، وتشير الدكتورة فوزية العشماوى إلى دراسة قامت بها تحت إشراف اليونسكو عن صورة المسلم فى الكتب المدرسية فى فرنسا وأسبانيا واليونان وخاصة كتب التاريخ فى نهاية المرحلة الابتدائية وكانت نتيجة البحث أن التاريخ الذى يتم تدريسه للتلاميذ الأوروبيين الصغار يعلمهم أشياء مختلفة تماما عما يتم تدريسه للتلاميذ العرب والمسلمين، وتقدم للتلاميذ الإسلام والرسول ﷺ بمعلومات تجرح شعور المسلمين، فتجد نبى الإسلام ﷺ يتم تقديمه أحيانا على أنه شاعر يرى رؤى خارقة، ويشار إليه بألفاظ توحى بالشك فى مصداقيته، وفى أغلب الأحيان يبدأ تدريس الإسلام بذكر الانتشار السريع المخيف للإسلام بالغزوات فى صدر الإسلام ثم بالفتوحات فى القرنين السابع والثامن الميلاديين، وكيف أن جيوش المسلمين زحفت إلى أوروبا واكتسحت تلك البلاد واستولت عليها بقوة السيف، ونهبت أموالهم وثرواتهم إلى أن تمت هزيمة المسلمين على يد (شارل مارتال) القائد الفرنسى الذى أوقف الغزو الإسلامى فى معركة (بواتييه) فى جنوب فرنسا عام ٧٣٢ ميلادية.

كذلك يتم تصوير العرب فى حروبهم على أنهم يتعاملون بوحشية، وتؤدى هذه الكتابات إلى أن تثبت فى أذهان الغربيين صورة المسلمين على أنهم الغزاة

المتوحشون الذين يثيرون الرعب، ويمثلون تهديدا دائما لجيرانهم. وفى الفصل الخاص بالحروب الصليبية تصور المناهج هذه الحروب على أنها كانت بهدف (تحرير بيت المقدس من أيدى الكفار) المسلمين الذين كانوا يحتلونها ويسيئون معاملة الحجاج المسيحيين القادمين من أوروبا لزيارة الأماكن المسيحية المقدسة فى القدس. ويدل على ذلك أن الأوروبيين ما زالوا يرددون حتى اليوم الوصف الذى كان يطلق على المسلمين فى أوروبا فى القرون الوسطى، وهو أنهم كفار دون محاولة من مؤلف الكتاب المدرسى لتصحيح هذا المفهوم الخاطئ.. وفى نفس الوقت تغفل المناهج الدراسية الإشارة إلى وحشية جيوش الصليبيين وعدم تسامحهم مع المسلمين سكان القدس حين انتزعوها من أيدى المسلمين عام ١٠٩٩، بينما تعترف الموسوعات العلمية الكبرى بأن الصليبيين ذبحوا أكثر من ٧٠ ألفا من أهالى القدس المدنيين دون تمييز بين النساء والأطفال والشيوخ، أو بين مسلمين ويهود، وحتى بين المسيحيين من أهالى المدينة العزل، ولا تشير المناهج إلى تسامح المسلمين حين استعادوا القدس عام ١١٨٧ على يد صلاح الدين الأيوبى الذى أصدر العفو عن كل الذين أساءوا إلى أهل المدينة، وهذه واقعة سجلها التاريخ، ولا يعلمها الغربيون لأنهم لم يدرسوها فى مدارسهم، وتغفل المناهج الدراسية فضل العلماء والفلاسفة العرب المسلمين على النهضة الأوروبية فى القرن الخامس عشر الميلادى، ونادرا ما يذكر ابن رشد وابن المقفع والخوارزمى وابن سينا وابن النفيس الذين كانوا أساتذة ومعلمين لأوروبا بأسرها منذ القرن التاسع الميلادى، ولهم اكتشافات علمية واختراعات ونظريات علمية وفلسفية كانت الأساس للنهضة الأوروبية حين ترجمت أعمالهم إلى اللاتينية ثم إلى اللغات الأوربية، وكثير من علماء عصر النهضة الأوروبية نسبوا لأنفسهم أفكار، واكتشافات ونظريات المسلمين إلى أن بدأ بعض المستشرقين الغربيين يعترفون بفضل العرب والمسلمين على النهضة الأوربية.

هكذا يعلمون تلاميذهم فى الغرب عن الإسلام والمسلمين ما يغرس الكراهية والعداء منذ الصغر فلا غرابة أن يعبروا عن هذه الروح العدائية عندما يكبرون، ولا غرابة أن تظهر عندهم نظرية صراع الحضارات وحتمية الحرب العالمية الثالثة ضد الإسلام هذه المرة!.

وفى ألمانيا ترسخ الصورة المعادية فى أذهان الكثيرين، وقد ساهمت وسائل الإعلام بتقاريرها وتحليلاتها فى نشر هذه الروح المعادية للإسلام وربطه بالأصولية والتطرف، وظهرت هذه النزعة واضحة فى (ملتقى الإعلام فى شمال الراين – فستفاليا عام ٢٠٠١) الذى تجمع فيه حشد من الصحفيين ورجال الفكر مع جمهور كبير، وقد نشرت وكالة (انترناشيونال برس) تقريرا عن هذا الملتقى كتبه محررها بيرند روسله أشار فيها إلى محاضرة البروفيسور (يوخن هيبلر) أستاذ العلوم السياسية فى جامعة دويسبرج فى هذا الملتقى وكانت بعنوان (الصورة المعادية للإسلام فى وسائل الإعلام الألمانية) أشار فيها إلى أنَّ صورة الإسلام أصبحت ذات طابع أيديولوجى وسياسى أكثر من الطابع الدينى، بحيث أصبحت معرفة الإسلام والمسلمين تتم من خلال التقارير التى تنشر عن حركة طالبان وجماعات المجاهدين فى أفغانستان..

ومن هذا المنطلق ارتبط الإسلام بالأصولية وجرى التمييز بين دول إسلامية (جيدة) ودول إسلامية (سيئة) أو (شريرة) ويتناسى أصحاب هذا التصنيف أن بعض الدول الإسلامية التى تدخل فى دائرة الدول الإسلامية الجيدة فيها نظام حكم استبدادى أكثر من الدول الأخرى.. وقال البروفيسور هيبلر: إن وسائل الإعلام فى دول الغرب عموما تعمل وفق قوالب معينة وتصف السياسة الغربية تجاه الدول الإسلامية بأنها (برجماتية) ومنطقية، بينما تصف سياسات الدول العربية والإسلامية بأنها عاطفية ومتناقضة وغير واضحة وغير منطقية!.. ويظهر الانحياز فى عرض الاعتداءات الإسرائيلية على الفلسطينيين حيث يقال: إن الإسرائيليين يضربون الفلسطينيين بالطلقات المطاطية فقط ولا يتحدثون عن الصواريخ والدبابات.

وفى هذا الملتقى تحدثت مراسلة البرنامج الثانى فى التليفزيون الروسى (اينا روك) فقالت: إن صورة العداء للإسلام موجودة أيضا فى وسائل الإعلام الروسية، ويظهر ذلك فى التقارير التى تنشر وتذاع عن الجمهوريات الإسلامية التى انفصلت عن الاتحاد السوفيتى السابق، كما تبرز وسائل الإعلام فى روسيا الحرب فى الشيشان على أنها حرب ضد المتطرفين المسلمين. هذه الصورة العدائية تبناها بعض رجال السياسة الألمان، وفى نفس الوقت يواجه الصحفيون مصاعب عديدة إذا حاولوا الاقتراب من الحقيقة.

وتحدثت أيضا فى هذا الملتقى الدكتورة فيولا شفيق الأستاذة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة عن تطور الأصولية الإسلامية فى مصر، وكيفية تناول السينما المصرية لهذا الموضوع، وعرضت بعض الأفلام السينمائية المصرية التى تناولت الأصولية والعنف الإسلامى، وشكا بعض المشاركين فى الملتقى من قلة التقارير الموضوعية عن حقيقة الإسلام وثقافته وعن حقيقة الأحداث التى تجرى فى الدول الإسلامية، بدلا من تركيز وسائل الإعلام الغربية على الأمور الشكلية مثل ملابس الرجال المسلمين، أو غطاء الرأس الذى تضعه المسلمات علما بأن كلمة (الحجاب) أو (الخمار) من الكلمات التى أصبحت تثير الكراهية.

وموضوع الإسلام المشوه فى ألمانيا يستحق وقفة خاصة..

وكلما وقعت فى أيدينا صحيفة أوروبية أو أمريكية نجد فيها مقالا يربط بين الإرهاب والإسلام.. وعندما أرادت صحيفة الفيجارو الفرنسية تحليل الموقف فى روسيا نشرت مقالاً كتبته هيلين كارير فى ١٨ سبتمبر عام ١٩٩٩ قالت فيه: إن الحوادث الإرهابية التى شهدتها روسيا فى هذا العام وسببت حالة من الهلع والصدمة لدى الشعب الروسى كان مدبروها هم (الإرهابيين الإسلاميين) والشيشان هى المصدر لتوريد هؤلاء الإرهابيين الإسلاميين، وقد قال فلاديمير بوتين (وكان وقتها رئيس الوزراء ثم أصبح رئيس الدولة).. إن هناك مؤامرة دولية هدفها السيطرة على الدول الإسلامية التى كانت تابعة للاتحاد السوفيتى والهدف الحقيقى لهذه المؤامرة تهديد حدود روسيا الجنوبية، والشيشان هى الموطن الأصلى للإرهاب وهى فى نفس الوقت قاعدة لمؤامرة أوسع تمتد إلى أفغانستان، وهناك مخطط لشغل روسيا بحرب فى الشيشان كحرب الجزائر، وتشمل المؤامرة إقامة حكم إسلامى متطرف فى الشيشان، ويشير مقال الفيجارو إلى حركة الاستقلال فى الشيشان على أنها (إرهاب إسلامى) كما يشير إلى المخاوف من زيادة أعداد المساجد والجامعات الإسلامية والتعليم الدينى فى داغستان، وتوجه الاتهامات إلى السعودية لتبرعها لبناء المساجد وتشير إلى أن ما يحدث فى الشيشان صورة جديدة للإرهاب الدولى.

وهكذا يتم الخلط بين الإسلام والإرهاب، كما يتم الخلط بين حركات الاستقلال واعتبارها جزءا من (الإرهاب الإسلامى الدولى) أو جزءًا من مؤامرة إسلامية

كبرى ضد دول الغرب بما فيها روسيا، وكأن الإسلام والمسلمين فقط هم وحدهم الذين يحركون الفتن ويدبرون حوادث الإرهاب فى جميع أنحاء العالم.

ونعود إلى الصحافة الأمريكية وإلى بعض ما كتبه توماس فريدمان وهو كاتب معروف بأنه قريب من البيت الأبيض ووزارة الخارجية والمخابرات الأمريكية، فنجده فى مقال فى صحيفة نيويورك تايمز يوم ١٧ ديسمبر ٢٠٠١ بعنوان (لإنهاء التعصب مطلوب حركة تنوير إسلامى) يقول فيه: لقد قمت مؤخرا أنا وأصدقائى بتأسيس جماعة يهودية جديدة، وعقدنا اجتماعنا فى الكنيسة المجاورة وهذا هو التسامح الدينى فى أمريكا، وإن كان فى أمريكا بعض التعصب الدينى فإنه ليس القاعدة، بينما يتباهى أسامة بن لادن بقيامه بجرائم القتل الجماعى، وهناك آلاف من شيوخ المسلمين يتعاطفون مع الدكتاتورية الدينية ونحن حتى الآن لم نضع خطة لتغيير تفكيرهم، والجميع يتساءلون ما هى الدولة التى سوف تهاجمها أمريكا بعد أفغانستان.. العراق أم الصومال؟.. وما يهمنا أن يبدأ المسلمون بأنفسهم بإصلاح الإسلام بطريقة تجعله متوافقا مع التعليم الحديث، ومع التسامح الدينى، وقبول التعددية. ويشير توماس فريدمان إلى برنامج فى قناة الجزيرة تساءل فيه المتحدث: لماذا لا يتمتع المسلمون بالتسامح؟.. لماذا لغة الكراهية فى كل الخطب الدينية وكل الكتب المدرسية ونحن لا نحتاج إلى أن تتدخل أمريكا وتقوم بتعليمنا أصول العبادة، ولكننا نحتاج إلى عوامل قوية تدفعنا إلى تغيير المناهج والدروس الدينية التى تدعو إلى التطرف.

مقال توماس فريدمان يدس بين السطور أن الإسلام دين تعصب ودكتاتورية وعنف، ويحرض أمريكا من طرف خفى على التدخل بالقوة لتغيير نظم الحكم ومناهج تدريس الدين الإسلامى وفقا للمفاهيم الأمريكية، وفى مقال آخر فى نيويورك تايمز أيضا فى ٦ مايو ٢٠٠٢ بعنوان (الشباب المسلمون لديهم صورة مشوهة) يقول فيه: إن أعدادًا كبيرة من المسلمين يشعرون بالغضب من أمريكا وإسرائيل لأن إسرائيل تجاوزت الحدود، والمسلمون نفد صبرهم، ولأن المسلمين ينظر إليهم فى أمريكا على أنهم قتلة ويعاملون فى أمريكا على أنهم إرهابيون

ويوجه إليهم اللوم على شيء لم يفعلوه، وأيضا لشعورهم بأن وسائل الإعلام الأمريكية تقوم بنشر صورة مشوهة عن الإسلام، والإعلام الأمريكى منتشر ومؤثر فى العالم. ويقول توماس فريدمان: إن الدول الإسلامية فشلت فى فهم التحديث ولا شك أن نشر الديمقراطية فى العالم الإسلامى سيساعد على اقتلاع الإرهاب وفهم المسلمين للحقائق، ولكن ذلك لن يحدث قريبا، وبدلا من أن يطالب أمريكا بمراجعة موقفها المعادى للحق العربى والمؤيد للاحتلال والعدوان الإسرائيلى فإنه يطالبها بعدم عرض مشاهد الاعتداءات الإسرائيلية على شاشات التليفزيون حتى لا يشاهدها العرب، ويرى أن ذلك كفيل بإزالة جانب من كراهية المسلمين لأمريكا وإسرائيل. ويطالب أمريكا بأن تبذل جهدا أكبر فى الإعلام والدعاية فى العالم الإسلامى لإزالة الغضب الذى يشعر به المسلمون تجاهها لأن الغضب الأعمى يمكن أن يتحول إلى سلاح للدمار الشامل، وحماية أمريكا من هذا الغضب لا يقل أهمية عن مشروع حمايتها بحائط الصواريخ الذى سيتكلف عشرات المليارات من الدولارات.

وفى مقالة بعنوان (المسلمون يؤخرهم غضبهم) فى نيويورك تايمز يوم ٧ مارس ٢٠٠٢ كتب توماس فريدمان مندهشا لماذا يسكت المسلمون عندما يقتل الهندوس ٦٠٠ مسلم هندى. ويثورون عندما يقتل الإسرائيليون ١٢ مسلما فقط فى يوم واحد؟

ويفسر فريدمان أزمة المسلمين بأنها ترجع إلى سبب عميق جدا يتعلق بالاختلاف بين مفهوم المسلمين عن الإسلام بأنه الدين الأكثر كمالا ومثالية بين أديان التوحيد وبين ظروف الفقر والقمع والتخلف التى يعيش فيها معظم المسلمين اليوم. ويذكر أن أحد الدبلوماسيين الأمريكيين فى الشرق الأوسط قال له إن وجود إسرائيل يذكر المسلمين بضعفهم، ويجعلهم يتحسرون على أحوالهم: كيف أن دولة يهودية صغيرة استطاعت أن تجمع بين القوة الاقتصادية والقوة العسكرية بينما يؤمن المسلمون بأنهم هم الأقرب إلى الرب؟.

ويتساءل فريدمان لماذا يغضب المسلمون من السياسات الأمريكية ويمارسون الإرهاب الانتحارى ضدها؟.. هل السبب هو تأييد أمريكا لإسرائيل؟.. بينما ليس أمام المسلمين إلا أن يتركوا الغضب.

هكذا ينظر فريدمان إلى قضية المصير الفلسطيني بمثل هذا الاستخفاف ويصور الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين على أنه صراع ديني بين اليهود والمسلمين ويتعمد إنكار الحقيقة وهي أن الصراع صراع سياسي على أرض يريد أصحابها استعادتها وتريد إسرائيل اغتصابها بالاحتلال في زمن انتهى فيه الاحتلال في العالم.

قبل ذلك وفي ١١ فبراير ٢٠٠٢ كتب توماس فريدمان في نيويورك تايمز أيضا مقالا بعنوان (المسلمون يحتاجون إلى الوصول إلى إجابات أفضل) قال فيه إنه سئل: هل اليهود وراء الحملات الإعلامية لتشويه الإسلام؟. فأجاب بأن الغضب الأمريكي من المسلمين بسبب الإرهاب الإسلامي الذي يقوده أسامة بن لادن. والعالم الإسلامي لا يريد أن يواجه الأسباب الحقيقية للفشل الذي أصابه فلم يحقق التنمية الاقتصادية، ولا التعليم الجيد، ولا التقدم العلمي والتكنولوجي، ولا الديمقراطية. وبدلا من أن يتحمل المسلمون المسئولية عن هذا الفشل هم وقادتهم فإنهم يرجعون كل مشاكلهم وأسباب الإحباط الذي يعانون منه إلى مؤامرة ضد المسلمين.

ثم يردد توماس فريدمان النغمة التي تتردد في الإعلام والفكر الغربي عند الحديث عن الإسلام والمسلمين، والتي تدل على النظرة الاستعلائية والعنصرية والتشويه المتعمد، بادعاء أن المسلمين في العالم هم الذين يجمعون بين الجهل والتخلف، والدكتاتورية، والإرهاب، بينما الغرب هو الذي يعيش بالقيم الديمقراطية وحرية الرأي ولذلك حقق التقدم وازدهرت حضارته.

في هذا السياق نشرت صحيفة الفيجارو الفرنسية دراسة عن الإسلام قالت فيها: إنه دين لم يعرف التسامح أبدا، والمسلمون يلجئون إلى المغالطة حين يقولون: إن دينهم قائم على التسامح، وقالت إن الرسول كان يتخلص من أعدائه عن طريق القتل المبرمج! وفي تفسيرها للقرآن الكريم قالت: إنه تضمن آيات ملغاة (منسوخة). وتزعم هذه الرسالة أن ٤٣ سورة فقط هي التي لم يشملها الإلغاء أو النسخ من ١١٤ سورة يشملها القرآن! وإن الآية التي تنص على أنه ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ (سورة البقرة-٢٥٦) ضمن الآيات التي تم إلغاؤها أو نسخها وعلى ذلك يجب ألا يُعتمد عليها للقول بحرية العقيدة في الإسلام!.

وتزعم الدراسة أيضا أن القرآن فيه آيات عديدة تفرض على المسلمين الجهاد ضد غير المسلمين لإجبارهم على اعتناق الإسلام! وتدعى أن الآية﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ نزلت فى مكة حين كان الإسلام ضعيفا. ولكن عندما قوى اختلفت اللهجة ونزلت ما أسمته الصحيفة(آية السيف) وهى الآية التى تقول: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ (سورة التوبة-٢٩) وتقول الصحيفة: إن هذه الآية هى الأكثر عنفا ضد أهل الكتاب. وتقول أيضا: إن أسلوب العنف المسلح يحظى بالإجماع بين كل فقهاء الإسلام وعلماء الشريعة، وتصل الصحيفة إلى أن الإسلام يدعو إلى العنف المسلح وإعلان الحرب على غير المسلمين.

ويوم نشرت الفيجارو هذه الدراسة أرسلها السفير على ماهر سفير مصر فى فرنسا فى ذلك الوقت إلى أمين عام رابطة الجامعات الإسلامية فى ذلك الوقت الدكتور جعفر عبد السلام للرد على هذه الافتراءات، وتم تشكيل لجنة من عدد من أساتذة الأزهر أعدت تقريرا كشفت فيه تزييف الفيجارو لحقيقة الإسلام.

وقالت اللجنة فى ردها: إن منهج الدعوة الإسلامية ليس كما تدعى الصحيفة بالقوة والسلاح والإرهاب ولكن (بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) كما أمرهم الله. وإن الجهاد مقرر لحماية حرية العقيدة ضد من يعتدى عليها، وضد الفتنة فى الدين، ورد العدوان على الوطن الإسلامى، وحروب الرسول ﷺ لم تكن ضد المخالفين فى الدين إلا حين كانوا يعتدون على المسلمين فكان الجهاد لرد العدوان، أو بسبب سعيهم نحو فتنة المسلمين وردهم عن دينهم، فكلها حروب دفاعية لا كما يقال الآن.

أما موضوع النسخ فلم يحدث إلا فى الفروع، ولم يحدث فى أصول العقيدة مثل التوحيد، والإيمان بالله وكتبه ورسله دون تفرقة بين أحد من رسله. والآيات المنسوخة تعد على الأصابع مثل نسخ اتجاه القبلة تجاه بيت المقدس، ومثل تقديم صدقة عند مناجاة الرسول ﷺ، أما ادعاء الدراسة بأن الآية ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾

نزلت فى مكة حين كان المسلمون فى حالة ضعف ونسخت عندما أصبحوا أقوياء فى المدينة. فإن هذا يكذبه أن سورة البقرة التى تضمنت هذه الآية من السور التى نزلت فى المدينة، فما تقوله الصحيفة كاذب من أساسه.. أما موضوع (الجزية) التى يرددها البعض فى الدعايات المضادة للإسلام: فإن الجزية فرضت حين كان غير المسلمين لا يشاركون فى الدفاع عن البلاد. والمسلمون هم الملزمون بالدفاع عنهم، والمسلمون يدفعون الزكاة، والجزية تقابل الزكاة، وليست مفروضة على الشيوخ ولا على النساء ولا على ذوى العاهات والمرضى، بل مقصورة على الشباب فى سن التجنيد، وهى تمثل ضريبة دفاع بينما يتم تجنيد الشباب المسلم لكى تتوازن الحقوق والواجبات فى الدولة بين المسلمين وغير المسلمين.

وما تقوله الصحيفة عن إجماع أهل الفقه والشريعة الإسلامية على العنف المسلح فليس فى الكتاب والسنة ما يدعو إلى ذلك، بل فيهما تأكيد على احترام المواثيق والمعاهدات والجنوح إلى السلم. وأخيرا فإن الجهاد مشروع فى القانون الدولى الحديث لرد العدوان والآيات التى تدعو للتسامح آيات محكمة وليست منسوخة.

ولكن ما قالته الفيجارو وصل إلى الفرنسيين ولم يلتفت منهم إلى رد الأزهر غير قلة لا تذكر.

وما زالت الحملة لتشويه الإسلام مستمرة!

مشكلة توماس فريدمان وغيره من أبواق الدعايات الأمريكية أنهم يتناولون القضايا بطريقة سطحية حتى إنه يعتبر منع عرض مشاهد قتل الفلسطينيين يكفى لنزع فتيل الكراهية للاحتلال الإسرائيلى. وإن حملات الدعاية الأمريكية تكفى للتغطية على ما ينشر فيها وفى أوروبا عن الكراهية ونزعة العداء فى الغرب للإسلام والمسلمين وإلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام، والقول بأن الحرب العالمية الثالثة ستكون بسبب الإسلام وستكون حربا من الغرب على الدول الإسلامية..

من أقوالهم.. وصحافتهم.. أليس من حق المسلمين أن يشعروا أنهم بالفعل (أمة فى خطر)! ومن مواقف كبار المسئولين فى الإدارة الأمريكية.. أليس من حق المسلمين.. بل من واجبهم أن يشعروا بالخوف من نواياهم المعلنة، وتهديداتهم للدول الإسلامية واحدة بعد الأخرى؟.

مَنْ يهدد مَنْ ؟

عندما كان بنيامين نيتنياهو رئيس وزراء إسرائيل الأسبق يتحدث أمام تجمع يهودى فى لندن فى صيف ٢٠٠٢ قال: إن إسرائيل فى معركة توراتية، وكشف بذلك عما فى أعماقه من أن الصراع العربى الإسرائيلى ليس صراعا سياسيا فقط، ولكنه فى قرارة نفسه يؤمن بأنه فى جوهره صراع دينى وأن التوراة هى المرجعية الإسرائيلية فى هذا الصراع !.

هل مثل هذا الطرح هو أحد تطبيقات نظرية صراع الثقافات التى انتشرت فى الفكر الأمريكى وأصبحت المحرك لمفكرين وسياسيين وعسكريين يعربون بشكل أو بآخر عن أن (الإسلام هو العدو)؟! .

ميشيل هولبيك، كاتب فرنسى، كتب رواية كلها إساءة إلى الإسلام، وفى حديث صحفى قال: إن الإسلام أكثر الأديان غباء، وإن قراءة القرآن تبعث على الملل. ولا أحد يعرف ما هى مناسبة مثل هذا الكلام إلا أن يكون مساهمة فى (الحرب على الإسلام).

ونعود لنستكمل الدراسة المطولة التى نشرتها (الإيكونومست) فى عدد ٦ أغسطس ١٩٩٤ ولم تلفت نظر أحد من المسئولين عن المؤسسات الإسلامية الكثيرة فى داخل وخارج الدول الإسلامية، تحت عنوان: (اليد الخفية، واليد الخفية) تقول الدراسة: إنه بعد تحديد السبل التى تؤدى إلى تغيير المسلمين، لكى يصبح الإسلام والغرب شركاء فى القرن الحادى والعشرين، فإن الغرب عليه دور يجب أن يقوم به، عليه أن يحدد ما تريد أمريكا وأوروبا تحقيقه من علاقتهما مع الإسلام. وفى الشق الخاص بالسياسة الخارجية على الغرب أن يستعد للتعامل مع الحقيقة المزعجة، وهى أن الإسلام على وشك الدخول فى مرحلة الانقلابات السياسية المفاجئة!.

فكثير من الدول الإسلامية تفتقد الديمقراطية، وتقودها حكومات غير محبوبة وتفتقر إلى الكفاءة، ولا تُحكم قبضتها على الأمور، ولن يدوم الوضع الراهن طويلا، وإن كان الوضع الراهن - مع الأسف - يبدو مرضيا ومريحا للغرب، خاصة وأن للغرب، ولأمريكا، تفاهما مشتركا مع معظم حكومات المنطقة، ومن ثم فلا يفكر الطرفان فى التغيير. والقوة قد تؤدى إلى قلب الكثير من الحكومات القائمة، وتثبت الحركات الإسلامية أنها حليف دائم للغرب، وأن سقوط الوضع الراهن سيؤدى على المدى القصير إلى كثير من النزاعات الغاضبة، إذا تعرضت المصالح الجوهرية للغرب فى المنطقة للخطر، مثل سوق حرة للنفط، أو المرور الآمن بحرا وجوا، فإن الغرب سوف يتحرك للدفاع عن هذه المصالح، ولكن لابد أن يضع الغرب فى اعتباره أن هذه المنازعات من المصاعب المعتادة لكل مرحلة انتقالية، وعندما تنتهى المرحلة الانتقالية يصبح الهدف هو إقامة علاقات سلسة بين الغرب و (الإسلام الحديث).

وتحت عنوان (الحاجة إلى تقليل التحول إلى رذاذ) تقول الدراسة: إن العنصر الثانى من مساهمة الغرب هو أن على الغرب أن يدرك أن ما يراه شاذا فى الإسلام كان له وضع مماثل فى التاريخ القديم للغرب، ويمكن للغرب أن يتفاعل مع الجانب الخاص بالاقتصاد فى الإسلام، وهو يقوم على أن السوق الحرة لا يعنى أن تكون السوق بلا ضوابط، ولكنها تخضع لضوابط غير اقتصادية، وهناك اتجاه فى الغرب نحو هذا المفهوم، كذلك فإن الغرب هزم الشيوعية وانتهت الحرب الباردة بفكرتين هما: السوق الحرة، والديمقراطية، وأساسهما أن الفرد وحرية الفرد والجهد الفردى هى المحركات للفرد والمجتمع. ولكن بدأ هذا الاتجاه ينقسم إلى اتجاهين: اتجاه ينادى بترك العنان للحرية الفردية بغير حدود، على أساس أن هذا يرفع درجة الكفاءة، والاتجاه الثانى ينادى بوضع ضوابط وقوانين تتحرك فى إطارها طاقات الفرد لتشجيع الناس على العمل من أجل تبادل المنافع، ولحماية غير القادرين فى نفس الوقت، ويمكن تسمية هذا الاتجاه (اليسار الجديد) وهذا اليسار الجديد ينظر إلى الإسلام برضا، ومن وجهة النظر هذه تبدو الحياة وكأنها رذاذ، ففى مجال الأعمال هناك تكنولوجيا حديثة جعلت كثيرا من الناس يقضون كل وقت العمل وحدهم كأفراد وليسوا أعضاء فريق،

وحتى داخل البيت فإن التكنولوجيا جعلت كل فرد يجلس وحده فى عزلة أمام كمبيوتر أو تليفزيون.

ونتيجة تحول الناس إلى أفراد كالرذاذ فى أوقات العمل وأوقات الفراغ نشأت ظاهرة تفكك الأسرة، حتى إن ٤٠٪ من الأمريكيين يعيشون وحدهم بدون أسرة، أو مع أحد الوالدين فقط (بعد تزايد حالات الطلاق والعلاقات بدون زواج)، كما تزايدت ظاهرة الانتقال من المدن الصغيرة إلى المدن الكبرى مما يعنى مزيدا من العزلة، ولقد دفع كل فرد فى الغرب فاتورة التشرذم، أو التحول إلى رذاذ، ويبدو أنه مع الزمن اعتاد الناس على التكيف مع الحياة الفردية، فى جمع المال، وفى إنفاقه أيضًا، لكن كثيرًا منهم لم يستطع التكيف، والدليل أن العلاقات بين الناس جعلت كل فرد وحدة ولا أحد ينتمى إلى أحد، وكلما قل انتماء الناس لبعضهم زادت القسوة والعنف، وتزايد وجود السلاح فى الأيدى، وأصبح متوافرا، وزادت العوامل التى تفقد الإنسان السيطرة على نفسه مثل الخمور والمخدرات، ولم تعد الحياة فى الغرب ممتعة كما كانت فى القرن ١٩ عند نشأة الطبقة المتوسطة، أما الطبقة المتوسطة الجديدة فإنها تشعر بأن الحياة أصبحت محفوفة بالمخاطر وأكثر وحشية، ولذلك فإن على الغرب أن يبحث عن وسيلة لوضع الدوافع الإنسانية والروح الخلاقة اللازمة للتقدم فى إطار من النظام الأخلاقى الذى هو الوسيلة الوحيدة لمعنى (التقدم).. والدين هو القوة التى تعمل على تشكيل هذا النظام الأخلاقى، ويبدأ بالإيمان بالله، ثم بالتفرقة بين الصواب والخطأ، وإلا فإن الغرب سيعيش فى آلة غاية فى الكفاءة لكنها بلا هدف.. ولكن القول دائما أسهل من الفعل، والذين يعملون على بناء (اليسار الجديد) يعترفون بأنهم مازالوا فى المراحل الأولى التى يتم فيها تطبيق مفهومهم عن الأخطاء فيما يدور حولهم من أحداث، ويبقى عليهم أن يتأكدوا أن مايعتقدون أنه الصواب يتفق مع دورة التاريخ التى بدأت بالإصلاح منذ القرن السادس عشر.

وتحت عنوان (وخزة فى الضلوع) تقول الدارسة: إن حركة الإصلاح فى أوربا حررت طموح الفرد وبذلك نشأ (الغرب الحديث) بما فيه من رأسمالية وديمقراطية، ولكن على مدى قرنين بعد الإصلاح ظلت هذه الروح تعمل داخل

هيكل من الانضباط المسيحى، ولكن مع حقبة التنوير فى القرن الثامن عشر انهار هذا الانضباط. وبدأ الناس يؤمنون بأن العقل الإنسانى قادر على الإجابة عن كل الأسئلة، فحدث اكتفاء ذاتى للجنس البشرى، وبدأ عصر اليقين العلمى، بما فيه من دعوى كارل ماركس المدمرة فى القرن التاسع عشر الذى زعم أنه اكتشف (اليقين السياسى).

وجاء انهيار اليقين الماركسى ليترك دوامة الطاقة الفردية للإنسان خارج إطار أى توجيه أخلاقى فى السياسة والاقتصاد، ومهمة اليسار السياسى الجديد إقامة نظام أخلاقى من جديد.

تقول الدراسة: عندئذ سيقول المسلمون: (مرحبا بعودتكم) إذ إن الملامح المميزة للإسلام عن كل الحضارات والثقافات العالمية هو إيمان الإسلام بأن حياة الإنسان اليومية المحسوسة تحيطها قوة أخرى غير مرئية، والاثنان مرتبطان برباط وثيق جدا، ولقد كان الغرب فى الماضى يؤمن بذلك، ولكن فى الوقت الحالى لم يعد بعض الغربيين وكثير من الأمريكيين يعملون على توثيق هذا الارتباط، وإذا استطاع الغرب إعادة هذا الارتباط أصبحت الفرصة أمامه أفضل لعلاج المشاكل، وأصبحت الفجوة أقل بين الغرب وعالم الإسلام الذى يضم ١٢٠٠ مليون مسلم.

وتنتهى الدراسة أخيرًا إلى أن الفارق كبير بين الحضارتين الإسلامية والغربية، والخلاف بينهما على مفهوم الله باعد السبل التى سار فيها كل منهما، وصار بينهما تاريخ دموى، وأصبح الالتقاء صعبا، إلا إذا توقف الإسلام والغرب عن النظر إلى الآخر على أنه متعصب وبلا أخلاق!، واحتكاك الغرب بالمسلمين قديما ساعد الغرب على التقدم، والآن، وبعد خمسة قرون، فإن الغرب عليه أن يساعد الإسلام على تحديث نفسه.

خلاصة هذا الجزء من الدراسة أن الغرب عليه تغيير الإسلام لكى يصبح مؤمنا بالقيم الغربية وبالنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية الغربية وبذلك يمكن للغرب التعامل معه.

وفى ذات العدد من (الإيكونومست) كتب جورجين نيلسين مدير مركز دراسات الإسلام والعلاقات الإسلامية المسيحية فى كليات سيلى أوك فى

برمنجهام يقول: إن المتطرفين الإسلاميين يخفون عنا رؤية وجه الإسلام المعتدل السائد بين أغلبية المسلمين، وإنه يعتقد أن الأغلبية الصامتة من المسلمين يتحررون اليوم من الاتجاهات المحافظة، ويستشهد بحديث للدكتور يوسف القرضاوى قال فيه: إنه من الضرورى تنمية مفهوم شامل جديد للشريعة الإسلامية بآراء مختلفة، ثم نبقى قلبا واحدا وتكون الأولوية للتجديد فى الفكر الإسلامى، والدكتور يوسف القرضاوى تخرج فى جامعة الأزهر، وتولى مناصب أكاديمية فى الكليات الإسلامية فى الخليج، وله تأثير على الشباب من شمال أفريقيا المقيمين فى فرنسا، وقد اتهمه بعض زملائه فى الأزهر منذ سنوات بأنه متطرف لأنه أعلن أن الشريعة الإسلامية لا تحكم بالإعدام على المرتد، وليس هو وحده الذى قال ذلك ولكن هناك من يرى هذا الرأى، وقد سبق أن أعلن الدكتور حسن الترابى - أمين الجبهة الإسلامية القومية فى السودان - عن معارضته لقرار الخومينى بإهدار دم الكاتب سلمان رشدى لارتداده عن الإسلام، واستند إلى ما جاء فى القرآن ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ ﴾ وأعلن عن هذا الرأى أيضا الدكتور راشد الغنوشى زعيم حزب النهضة الإسلامية فى تونس، ولكن تنفيذ هذه الآراء أمر شديد التعقيد، لأن الجبهة الإسلامية فى السودان هى التى أدخلت عقوبة الإعدام للمرتد عندما تولت السلطة ولذلك يمكن وصف الدكتور الترابى بالانتهازية. من ناحية أخرى تبدو ملامح تقدم ديمقراطى وثقافى فى المنطقة، يؤكد اهتمام الزعماء السياسيين والدينيين بالرأى العام، وهذا يفتح الباب للمثقفين فى الصحف ومحطات التليفزيون الفضائية الجديدة التى تبدو بعيدة عن سيطرة الحكومات لمناقشة قضايا مهمة مثل حقوق الإنسان، والديمقراطية والفقر، والثروة، وأوضاع المرأة، وهؤلاء الشباب ممن يحاولون كسر القيود المفروضة وكسر الجمود فى الفكر الإسلامى مع تقبلهم للأفكار القادمة من أمريكا وأوروبا، وتقول الدراسة: لقد أساء التطرف إلى الإسلام، وسادت حالة من نفاد الصبر تجاه هذا التطرف، وبالإضافة إلى ذلك فقد المتطرفون مصداقيتهم فى دول مثل مصر ولبنان، ونتيجة لذلك أصبح للمعتدلين كلمة مسموعة وأصبحوا هم المعبرين عن تراث الإسلام عن السماحة والاعتدال، وقد

أثبتت التجارب أن الدموية والعنف الذى تعمل به الجبهة الإسلامية فى الجزائر، والنظام الإيرانى وعبثية حكم طالبان فى أفغانستان.. كل ذلك يبدو أنه يقترب من نهايته.

ويقول جورجين نيلسين فى مقاله: إن الذعر من (صراع الحضارات) بدأ عندما أعلن البروفيسور صمويل هنتنجتون هذه النظرية وقال: إن العالم بعد أن انتهت الحرب الباردة وسقوط حائط برلين سيشهد صراعا بين الغرب والإسلام، وبدأ تداول فكرة أن الإسلام هو العدو. عن رؤيته للمسلمين الآن يقول: لقد حل التعب بالجيل القديم من علماء المسلمين لأنهم لم يحصلوا على الخير الموعود رغم تأييدهم للفساد والقهر فى الأنظمة الحاكمة، ولم يعد إحساسهم بالغبن للمؤامرة العالمية فى فلسطين تأثير على الأجيال الجديدة من أبنائهم وأحفادهم الذين تشغلهم قضايا الاقتصاد والثقافة الدولية تحت سيطرة أمريكية واضحة فى النظام العالمى الجديد.. وحتى الآن لم تحسم المعركة بعد، فلازالت هناك حركة لأنصار الاتجاهات الإسلامية التقليدية يشتد عودها كلما انحازت أمريكا إلى إسرائيل.

من أشهر من كتب عن رؤية الغرب للإسلام الباحث الأمريكى الشهير جون اسبوزيتو، وأهم كتبه بعنوان (التهديد الإسلامى أسطورة أم حقيقة) وقد صدرت له أخيرًا ترجمة إلى اللغة العربية للدكتور قاسم عبده قاسم، يقول فى سطوره الأولى: إن هناك من يظنون أن الحرب بين الغرب والمسلمين ستكون البديل للحرب بين الغرب والشيوعية، ويتساءل: هل الإسلام والغرب على طريق تصادم حتمى؟.. وهل الأصوليون الإسلاميون متعصبون من النوع الذى عرفته العصور الوسطى؟.. وهل الإسلام والديمقراطية لا يتوافقان؟.. وهل تشكل الأصولية الإسلامية تهديدا للاستقرار فى العالم الإسلامى وللمصالح الأمريكية فى المنطقة؟.. ويقول: إن هذه الأسئلة الحرجة نتيجة تاريخ غلب عليه الصراع وعدم الثقة المتبادلة، فمن آية الله الخومينى إلى صدام حسين وطالبان بأفغانستان. وعلى مدى عقدين تقريبًا، كانت رؤية الأصولية الإسلامية، أو (الإسلام المقاتل) تهديدًا للغرب استحوذ على تصورات الحكومات الغربية، فإدانة الخومينى لأمريكا باعتبارها (الشيطان الأكبر) ودعوة صدام (للجهاد) ضد الكفرة الأجانب،

وهتافات (الموت لأمريكا) وإدانة سلمان رشدى وروايته (آيات شيطانية) كل ذلك أعاد صورة الإسلام المقاتل باعتباره دين الغزو والتوسع، المعادى للأمريكيين، الذى يضمر العزم على شن الحرب على الغرب، وعلى الرغم من وجود جذور ومعتقدات دينية مشتركة فإن العلاقات الإسلامية - المسيحية على مدى التاريخ كانت تشوبها الصراعات حينما كانت الجيوش والدعاة من العالم الإسلامى، والمبشرون من العالم المسيحى، يتصارعون من أجل النفوذ. وهذه المواجهات تضمنت أحداثا مثل هزيمة البيزنطيين الأوائل (الرومان الشرقيين) على أيدى المسلمين فى القرن السابع، والمعارك الوحشية وفظائع الصليبيين خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر، وطرد المسلمين من أسبانيا، ومحاكم التفتيش، والتهديد العثمانى لأوروبا، والتوسع الاستعمارى الأوروبى (المسيحى)، والهيمنة التى شهدها القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر، والتحدى السياسى والثقافى للقوى العظمى (أمريكا والاتحاد السوفيتى) فى النصف الأخير من القرن العشرين، ثم خلق دولة إسرائيل، والمنافسة الجارية الآن بين المبشرين المسيحيين والدعاة المسلمين، ثم الاستخدام المعاصر للإسلام فى الشئون السياسية.

هكذا يلخص جون اسبوزيتو جذور الصراع بين الغرب والإسلام ولكن دون أن يستخلص من هذا العرض السريع للتاريخ أن الغرب غالبا كان هو المعتدى من الحرب الصليبية إلى الاحتلال ثم الهيمنة الاقتصادية والسياسية.. الخ.. ولكنه فقط يركز على أن (الأصولية الإسلامية) هى التى تعتبر التهديد الأكبر للاستقرار الإقليمى فى الشرق الأوسط، والخطر على المصالح الغربية فى العالم الإسلامى، فالثورة الإيرانية والهجمات على السفارات الغربية، وخطف الطائرات والرهائن، والأعمال العنيفة التى تقوم بها جماعات مثل (جند الله) و (الجهاد) و (حزب الله) و (الناجون من النار) تشير إلى أن هناك (الإسلام المقاتل) فى طريقه إلى الصدام مع الغرب، كما أن القلاقل التى شهدتها الجمهوريات الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى السابق، وفى كوسوفو بيوغوسلافيا، وفى كشمير، وفى سينكيانج بالصين، وفى الضفة الغربية وغزة، ومحاولة صدام حسين ضم الكويت، كل هذه الأمور فرضت صورا للإسلام على أنه ينطوى على نزعة توسعية، وإمكانية التفجر فى الأوساط السياسية العالمية.

ويقول جون اسبوزيتو إن الفراغ الناتج عن انتهاء الحرب الباردة تملؤه المخاوف من الإسلام باعتباره (إمبراطورية الشر) الجديدة والمشتبك فى حرب مع النظام العالمى الجديد ويقول أيضا: إن افتتاحيات ومقالات الصحف فى الغرب تعكس الاعتقاد بأن الصدام بين القيم والحضارات سوف يؤدى إلى مواجهة خطيرة بين الإسلام والغرب، وهذه الحملات الصحفية تحمل عناوين مثل: (مازالوا يحاربون الحملات الصليبية) و (الهلال الجديد فى أزمة) و (الإسلام الصاعد ربما يهيمن على الغرب) و (جذور الغضب الإسلامى) و (الحرب الإسلامية ضد التحديث) و (ذروة الأزمة: صدام الحضارات).. ومثل هذه العبارات تستولى على الانتباه وتستحوذ على الرأى العام، وتشوه الإسلام، وتكرس التنميط الثقافى للعرب والمسلمين، فبالنسبة للكثيرين فى الغرب فإن العرب فى نظرهم بدو وشيوخ البترول، يعشقون الصحراء والنساء، وأنهم شعب انفعالى وغير عقلانى، وغالبا ما تتم المساواة - بين الإسلام، والجهاد - والكراهية، والعنف، والتشدد، وقهر المرأة. ويؤكد جون اسبوزيتو أن قادة الدول الغربية عندما كانوا يعدون لتشكيل النظام العالمى الجديد تصاعدت فكرة اعتبار الإسلام هو العدو العالمى الجديد المتكتل ضد الغرب، وبالنسبة لبعض الأمريكيين الذين يبحثون عن عدو جديد يختبرون قوتهم ضده خاصة أنه بعد انتهاء الشيوعية اعتبر الإسلام هو الخصم، فالإسلام، والحركات الإسلامية يمثلان التحدى الدينى والأيديولوجى والخطر المحتمل ضد المسيحية والغرب. وصناع السياسة الأمريكيون، شأنهم شأن وسائل الإعلام، يصورون العالم الإسلامى والحركات الإسلامية كتلة واحدة صماء، ولا يرونها إلا على أنها التطرف والإرهاب.

يقول جون اسبوزيتو عن (جذور الصراع بين الإسلام والغرب): إن النجاح والتوسع للإسلام كانا التحدى للغرب على المستوى الدينى والسياسى والثقافى وشكل تهديدا للغرب المسيحى، وكل من الإسلام والمسيحية لديه شعور برسالة ومهمة عالمية، ولذلك كان محتما أن يؤدى ذلك إلى المواجهة بدلا من التعاون، وذلك أيضا بسبب تاريخ طويل كان العالم المسيحى خلاله يوجه السباب إلى النبى (ﷺ) وإلى الإسلام الذى كانت صورته مشوهة جدا بالنسبة لهم، وبسبب تاريخ حديث وضع الإسلام خلاله على قدم المساواة مع الإرهاب والتطرف. قديمًا جاءت

الحروب الصليبية المثال الأوضح للمسيحية العسكرية، وهذه الحروب التي أخذت اسمها من (الصليب) سلسلة من ثماني حملات عسكرية تمتد من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر تم فيها تعبئة العالم المسيحي (جيوش الفرنجة) ضد الإسلام (جيوش المسلمين) ويمثل القرن الحادي عشر منعطفا مهما في العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي. فقد كان الغرب حتى القرن الحادي عشر، متخلفا أميا، يدافع عن نفسه بصعوبة ضد هجمات البربر، بينما كان الإسلام على امتداد أربعة قرون يتمتع بسلام داخلي وأمن، وبعيدا عن الحروب المحلية، تمكن من بناء ثقافة وحضارة، ثم تحول الموقف تحولا دراميا، إذ أعيد إحياء التجارة في الغرب، وظهرت المدن والأسواق، وتزايد السكان، وظهرت الفنون والعلوم على نطاق لم يعرف منذ أيام الإمبراطورية الرومانية، وخرج الغرب من العصور المظلمة ليشن هجوما مضادا لطرد المسلمين من أسبانيا، وإيطاليا، وصقلية، والمتوسط في وقت كان العالم الإسلامي قد بدأ يواجه اضطرابات سياسية ودينية أضعفت قواه.

ويقول اسبوزيتو: إن القدس في ذلك الوقت كانت مدينة مقدسة لكل الديانات منذ الحكم الإسلامي لها عام ٦٣٨، وتحت الحكم الإسلامي تُركت الشعوب والكنائس المسيحية بدون إزعاج، وصارت المزارات المسيحية المقدسَة مواقع حج شعبية للعالم المسيحي، أما اليهود الذين كان الحكام المسيحيون قد حرموهم طويلا من العيش في القدس فقد سمح لهم المسلمون بالعودة والعبادة، ولم تكد تنتهي الحرب الصليبية حتى واجهت أوربا مرة أخرى قوة التهديد الإسلامي ممثلة في الإمبراطورية العثمانية وكان الأتراك العثمانيون هم الذين زرعوا الرعب في قلب أوروبا المسيحية لدرجة وصفهم بأنهم (الرعب الحالي للبشرية) وسيطر العثمانيون على دولة البلقان وأخضعوها، وكانت سياستهم تجاه المسيحيين والأقليات الدينية الأرثوذكس مرنة تتناقض تماما مع التطرف المتعصب في الدول المسيحية في ذلك الوقت. وقد اعتاد الفلاحون البلقانيون المسيحيون في زمن حكم محمد على لمصر القول بأن عمامة التركي أفضل من إكليل البابا. وعلى الجانب الآخر بدأ الهجوم على الإسلام والمسلمين. والنتيجة التي يصل إليها جون اسبوزيتو أن الصدام لم يكن في حقيقته دينيا بين المسيحية

والإسلام في الحروب الصليبية أو ضد الأتراك، ولكنه كان بسبب المصالح السياسية والاقتصادية..

ويقول: إن عصر الإصلاح الديني في أوروبا جاء بنوع آخر من العداوة عبر عنها مارتن لوثر بقوله: (إن الإسلام حركة من العنف في خدمة المسيح الدجال، ولا يمكن تنصير المسلمين لأنهم أغلقوا باب العقل، ولا تمكن مقاومة الإسلام إلا بالسيف).. وفي القرون الأخيرة ظهرت دراسات وكتب عدائية عن الإسلام.. مثل كتاب فولتير (التعصب أو محمد النبي) صور النبي محمد (ﷺ) طاغية دينيا، وأعلن المستشرق الشهير أرنست رينان أن الإسلام لا يتوافق مع العلم، والمسلم لا يقدر على أن يتعلم شيئا، أو ينفتح على فكرة جديدة، ويقول اسبوزيتو: إن الإسلام أثبت أنه تهديد مزدوج ديني وسياسي، ولو لم يتم صد الجيوش الإسلامية في بواتييه في فرنسا وعند بوابات النمسا فربما صارت اللغة العربية هي لغة أوروبا.

وإذا كانت القرون العشرة الأولى مباراة غير متوازنة كانت المسيحية أثناءها تحت الحصار بالمعنى الحرفي، فإن بداية الاستعمار الأوروبي كان بداية تحول القوة، ومن بعدها حكم الاستعمار المسلمين وسيطر على عقولهم، وظل الاستعمار مستمرا في التأثير على العلاقات بين الغرب والإسلام حتى اليوم على نحو ما كشفت الثورة الإيرانية وحرب الخليج، وبقيت بعد ذلك صور الصليبيين والإمبريالية الغربية تراثا حيا، وتجربة حية في وعي المسلمين وفي خطابهم السياسي.

وتحت عنوان (الغرب الظافر) يتحدث عن الإسلام فيصفه بأنه يحمل تهديدًا محتملاً للغرب المسيحي.. وأيضًا بوصفه قوة رجعية ومصدرًا للتخلف والتدهور في العالم الإسلامي، هذه الصورة هي التي حكمت النظرة العالمية للاستعمار الأوروبي، وقدمت المبرر للموظفين الاستعماريين والمبشرين المسيحيين الذين كانوا الطليعة للتوسع الأوروبي والهيمنة الإمبريالية في العالم الإسلامي.. كانت الحضارة الغربية فخورة بنفسها ودفعها الشعور بالانتصار إلى احتقار كل ما هو غير أوربي، وأثبت الرجل الأبيض نفسه، وتجمع ضد أي شيء يأتي من الخارج.

وينقل موقف اللورد كرومر، المندوب السامى البريطانى فى مصر من ١٨٨٣ إلى ١٩٠٧ أثناء الاحتلال البريطانى لمصر بأن الإسلام ديانة توحيدية نبيلة، ولكنه كنظام سياسى كان فاشلا فشلا ذريعا، فالإسلام يضع النساء فى مكانة دونية، ويبلور الدين والفقه فى وحدة لا تنفصم ولا تتغير، ويسمح بالرق، واتجاهه العام التسامح إزاء الديانات الأخرى، ولا يشجع تطوير الفكر المنطقى، ومن ثم لا يكاد المسلمون يتطلعون إلى حكم أنفسهم أو إصلاح مجتمعاتهم.. ومع ذلك فإن الإسلام يمكن أن يولد شعورا جماهيريا يمكن أن يحطم الروابط التى أنشأها المصلح الأوروبى.

الخوف من (ثورة الإسلام) لم يكن بعيدا عن فكر كرومر كما ينقل اسبوزيتو، ويقول: إن الحالة المتدهورة للعالم الإسلامى جعلت منه هدفا واضحا للبعثات التبشيرية المسيحية، وكانت الفكرة السائدة أن الإسلام بطبيعته يشجع الجمود الثقافى، ويعوق التطور..

ومع القرن التاسع عشر وجد المسلمون أنفسهم فى موقف دفاعى إزاء التوسع الأوربى، وفى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أصبح الغرب يمثل تحديا للإسلام على المستوى السياسى، والاقتصادى، والأخلاقى، والثقافى، وهدد الاستعمار والإمبريالية الأوروبية هوية الإسلام السياسية والدينية والثقافية، ومع بداية السيادة الأوروبية على العالم الإسلامى اهتزت صورة الإسلام ومكانته.

وكشفت خريطة العالم الإسلامى عقب الحرب العالمية الأولى مدى اتساع السيادة الأجنبية، فالفرنسيون فى شمال وشرق ومناطق خط الاستواء فى أفريقيا وشرق البحر المتوسط، والبريطانيون فى فلسطين وشرق الأردن والعراق ومصر والخليج العربى، وشبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا والملايو وسنغافورة وبروناى، والهولنديون فى إندونيسيا، وكانت استجابة المسلمين تتراوح بين الرفض والتقليد، بين المواجهة والإعجاب، ولكن الحالة السائدة كانت حالة الصراع، ولم تأت أوروبا بجيوشها وموظفيها فقط، وإنما جاءت بالبعثات التبشيرية أيضا، وكان وصف مارشال فرنسا بوجو لذلك بقوله: إن القساوسة يكسبون لنا قلوب العرب الذين أخضعناهم بقوة السلاح.

يقول اسبوزيتو: إن القومية العربية وشخصية جمال عبد الناصر حشدت معظم أنحاء العالم العربى بالتحدى للقوى الغربية فى الخمسينات فصاعدًا، وظهرت فى الدول العربية حكومات تردد مواقف عبد الناصر ضد الإمبريالية الغربية وتدعو إلى النضال ضد الاستعمار وبناء نظام اجتماعى جديد، وربما لم يستحوذ أى زعيم عربى حديث على خيال العالم العربى والعالم الثالث على نحو ما فعل جمال عبد الناصر، ومازالت ذكراه تلقى بظلالها على التطور السياسى فى الشرق الأوسط، إذ ارتبط اسمه بالمواجهتين اللتين ترمزان إلى الحالة المعادية للإمبريالية وسياسات تلك الفترة: السويس، وفلسطين. وبوصفه زعيما كاريزميا كانت قدرته على الهيمنة على الجماهير محل حسد كل سياسى عربى، كما كان منغصا لأعدائه، وألهب خيال العرب والمسلمين.

ثم ينتقل فى تحليله لجذور العداء إلى قضية فلسطين، فيقول: إن خلق إسرائيل كان المثال الأكثر جسارة على ازدواجية معايير الاستعمار ورغبته فى أن يبقى العرب فى حالة الانقسام والضعف، وإسرائيل تعتبر نفسها مستعمرة أوروبية أمريكية وسط الأمة العربية، وكانت هزائم العرب فى ٤٨ و ٥٦ و ٦٧ مزيدا من الإهانة. وبالنسبة للقادة العرب كانت فلسطين تقدم لهم قضية لاخسارة فيها، يمكن لكل منهم أن يستغلها داخليا وعالميا ويتبارى الحكام فى عنف الشجب والإدانة، والمسلمون يشاطرون الفلسطينيين معاناتهم، والنضال ضد إسرائيل يرمز إلى المعركة ضد الإمبريالية ويقدم قضية عامة وإحساسا بالوحدة، ويلهى عن فشل الأنظمة، وفشل القومية العربية، ووجد الناشطون الإسلاميون فى تحرير فلسطين هدفا للجهاد ضد الإمبريالية الغربية.

ويقول إنه بعد انتهاء الحرب الباردة تعالت أصوات فى أمريكا وأوروبا (المسلمون قادمون، المسلمون قادمون) وأنهم ليسوا خطرا سياسيا فقط ولكنهم خطر سكاني أيضا.. واستمرت التصريحات من جانب زعماء الدول وقادة الرأى والسياسيين البارزين فى إشاعة مفاهيم التهديد الإسلامى، وصدام الحضارات، حتى إن نائب الرئيس الأمريكى دان كويل فى فترة إدارة بوش الأب تحدث عن خطر الأصولية الإسلامية الراديكالية، وربط بينها وبين النازية والشيوعية، وزادت المقالات التى تتحدث عن حرب الإسلام ضد الغرب، وعدم توافق الإسلام

مع الديمقراطية، وأن (الإرهاب الإسلامى) تم تصديره إلى ميادين معارك أخرى فى أمريكا وأوروبا، حتى أعلنت إدارة كلينتون تجميد كل الأصول فى الولايات المتحدة المملوكة لثلاثين منظمة وفردا يعتقد أنهم على علاقة بالمناضلين الإسلاميين فى الخارج، وأعلنت إدارة كلينتون مواجهة (الشبكة الإسلامية الأصولية الدولية)، وأعلن نيوت جنجريتش حين كان رئيسًا لمجلس النواب الأمريكى أن هناك ظاهرة منتشرة فى العالم تتمثل فى ذلك الحزب الإسلامى الذى تموله وتوجهه إيران إلى حد كبير، وجدد تفجير مركز التجارة العالمى فى نيويورك فى مارس ١٩٩٣ المخاوف من (أصولية عالمية) تشن الجهاد على أمريكا، وللمرة الأولى تم حشد الغضب الأمريكى على (التهديد الإسلامى) وانتشرت الاتهامات للأصوليين الإسلاميين الذين لهم قواعد فى الولايات المتحدة وأوروبا، وأدى خطف طائرة (اير فرانس) فى ٢٤ ديسمبر ١٩٩٤ على يد المتطرفين الجزائريين والتقرير الذى نشر عن أنهم كانوا يخططون لتفجيرها فوق باريس، إلى إعادة تأكيد المخاوف من تهديد إسلامى داخلى فى طريقه لأن يكتسح أوروبا.

وزاد الاعتقاد فى أمريكا وأوروبا بأن صداما وشيكا بين العالم الإسلامى والغرب، من خلال عناوين مثل (حرب مقدسة تتجه نحونا)، و (الجهاد فى أمريكا) و (انتبهوا: الرعب الإسلامى.. مجموعة انتحارية عالمية).. و (أنا مؤمن بالخوف من الإسلام) و (جزائريون فى لندن يمولون الإرهاب الإسلامى) و (فرنسا تتعذب من جديد).

ويشير إلى فهم واستجابة الغرب للأحداث التى تجرى فى العالم الإسلامى وفقا للأنماط الشائعة، وهى النظر إلى الإسلام باعتباره تهديدا عالميا، وعدوا تاريخيا تتعارض ديانته وأولوياته مع ديانة الغرب وأولوياته ويقول إن اتجاه الحكومات ووسائل الإعلام فى الغرب إلى المساواة بين الإسلام والإرهاب ونزعة معاداة الغرب هو ما يعوق فهم الغرب للإسلام ويحدد رد فعل العالم الإسلامى تجاه الغرب، وتكون النتيجة شعورا متبادلا بالنفور بين الإسلام والغرب بحيث يعتبر كل منهما الآخر تهديدا واعتبار كل منهما أن المواجهة والصدام بينهما أمر لا مفر منه.. ويعترف جون اسبوزيتو بأن الغرب فيه تربة أيديولوجية لهذا العداء، ومازال مقيدًا بما يحمله من الماضى، وبآثار الجهل

والتنميط وكل هذا يعمى حتى من يتمتعون بحسن القصد عندما يتناولون العالم الإسلامى، وكثيرون يرون أن تاريخ الإسلام وتعاملات العالم الإسلامى مع الغرب هو تاريخ من الافتراس والقهر، وهم يرددون بأن (المسيحية المقاتلة) و (اليهودية المقاتلة) وراء فشل وعدم استقرار المجتمعات الإسلامية كما حدث فى عدوانية الحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش والاستعمار الأوروبى وتقسيم أوروبا للعالم العربى والإسلامى، وتأسيس إسرائيل، واحتلال إسرائيل للأراضى العربية، والدور الذى لعبته المصالح البترولية فى دعم نظم الحكم الفردى. وإذا كان الغربيون يشعرون بالخوف من التهديد الإسلامى، فإن كثيرا من المسلمين يعتقدون أن هناك أيضا تهديدا غربيا من الإمبريالية الاقتصادية والسياسية والاحتلال السياسى، والغزو الثقافى، والنتيجة (عملية متبادلة لتصوير الآخر فى صورة الشيطان) ويبدو أحيانا أن موقف الغرب تجاه الشيوعية قد تم نقله لإظهار تهديد جديد من الإسلام.. وكثيرا ما كتب علماء بارزون ومعلقون سياسيون مقالات تعلن: (لا تبحثوا عن المعتدلين فى الثورة الإسلامية) و..(الجهاد يتجه نحونا).. و(صدام الثقافات) صعود الإسلام فى فرنسا يزعج عامة الشعب ويؤدى بنا إلى حركة رجعية و(انتبهوا.. الإرهاب الإسلامى فرقة انتحارية عالمية).. و (الأمير تشارلز على خطأ. الإسلام يهدد الغرب فعلا). ويؤكد اسبوزيتو بعد ذلك بأن هناك معلقين غربيين كثيرين يرون أن الإسلام والغرب يسيران على طريق الصدام، وأن الإسلام يحمل تهديدا ثلاثيا للغرب: سياسيا، وحضاريا، وسكانيا، وهناك كتابان كان لهما تأثير خاص الأول كتاب (جذور الهياج الإسلامى) تأليف برنارد لويس، والثانى نظرية (صدام الحضارات) التى ذاعت بعد كتابات صمويل هنتجتون.

لقد كان برنارد لويس هو الذى قدم الصورة التى صدمت الغرب عن الإسلام والمسلمين فى كتابه (الأصولية الإسلامية) باعتبارهم أصوليين مقاتلين خطرين وكان هذا الكتاب فى أصله محاضرة ألقاها برنارد لويس لعام ١٩٩٠ باسم (محاضرة جيفرسون) وهى أعلى شرف تسبغه حكومة الولايات المتحدة على أى باحث تقديرا لمكانته التى وصل إليها فى مجال الدراسات الإنسانية، ثم نشرت بعد ذلك منقحة تحت عنوان (جذور الهياج الإسلامى) ونشرت كموضوع رئيسى

فى مجلة اتلانتك الشهرية. وبسبب مكانة برنارد لويس الدولية كباحث وخبير فى شئون الشرق الأوسط فقد كان لهذا المقال رد فعل واسع، وكان له تأثير عالمى فى الفهم الغربى للإسلام.

ومع عنوان المقال نشرت مجلة اتلانتك صورة مسلم معمم بلحية كبيرة وفى عينيه المتوهجتين أعلام أمريكية، وداخل المجلة نشرت رسما يصور حية ضخمة وعليها نجوم العلم الأمريكى وهى تزحف على الصحراء، ورسما آخر لنفس الحية وهى كامنة وراء مسلم يؤدى الصلاة، والمسلم فى هذه الرسوم يظهر وكأنه يعيش فى العصور الوسطى، وقد علق على المقال والرسوم جون اسبوزيتو فقال: إن عنوان (جذور الهياج الإسلامى) فى ذاته يخلق توجسا. فهل نرى مقالات تتحدث عن الغضب المسيحى أو الغضب اليهودى؟.. ولماذا الإصرار على تسمية القدرات النووية الباكستانية (القنبلة الإسلامية) وليس (القنبلة الباكستانية) كما يقال (القنبلة الهندية) وليس «القنبلة الهندوسية»، ويقال (القنبلة الإسرائيلية) ولايقال (القنبلة اليهودية) وكما يقال (القنبلة الأمريكية) ولا يقال (القنبلة المسيحية)؟.

يقول برنارد لويس: (إن الصراع بين الإسلام والغرب استمر حتى الآن على مدى أربعة عشر قرنا من الزمان، وقد جاء تكوينه من سلسلة طويلة من الهجمات والهجمات المضادة.. الجهاد.. والحملات الصليبية.. والغزو.. واليوم فإن معظم العالم الإسلامى تسيطر عليه مرة أخرى حالة استياء عنيفة ضد الغرب، وفجأة صارت أمريكا العدو الأكبر، وتجسيدا للشر الذى يهدد المسلمين ويهدد الإسلام.. لماذا؟.. ويعلق جون اسبوزيتو على ذلك بأنه بسبب تصوير الإسلام والمسلمين فى صورة المحرضين طوال أربعة عشر قرنا.. أى إن الإسلام عدوانى.. والإسلام والمسلمون مسئولون عن الهجمات بينما الغرب دفاعى يرد هجمات مضادة.. ويورد اسبوزيتو عبارة لمعلق إسرائيلى يقول فيها: لا يهم كيف كانت الشيوعية سيئة، فإنها لم تكن أبدا خطوة للعودة إلى العصور الوسطى، أما ما يصعب علينا تصوره هو كيف ستتمكن ديمقراطيات القرن الحادى والعشرين من العيش فى سلام مع قوى عقدت العزم على أن تبرهن أن الألف سنة الأخيرة لم تحدث وهو يقصد الإسلام والمسلمين.

يقول اسبوزيتو: إن الصحافة البريطانية (التايمز، والديلى تلجراف، وسبكتاتور) عكست الخوف من الإسلام (اسلامو فوبيا) وكتبت كلير هولينجسورث: (إن الأصولية الإسلامية أصبحت بسرعة التهديد الرئيسى للسلام والأمن العالمى، كما تحولت بالإرهاب إلى سبب من أسباب الاضطراب الوطنى والمحلى، وهى مثل التهديد الذى شكلته النازية والفاشية فى ثلاثينات القرن العشرين، ثم الشيوعية فى الخمسينات.

وكتب برنارد ليفين فى صحيفة التايمز يقول: هل تدركون أنه ربما فى غضون نصف قرن لا أكثر، وربما أقل من ذلك كثيرا، ستكون هناك حروب سوف يكسبها المسلمون المتعصبون؟.. وعندما ألقى الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا خطبة داعيا إلى بناء جسر بين الإسلام والغرب كان تعليق صحيفة ديلى تلجراف: (إن الأمير تشارلز على خطأ - الإسلام يهدد الغرب فعلا) وفى تقرير لجنة (رينميبر) البريطانية بعنوان (الإسلامو فوبيا) قالت: إن الخطاب النابع من الخوف من الإسلام صاخب أحيانا، وغالبا ما يكون محملا بالرموز هو جزء من نسيج الحياة اليومية فى بريطانيا، بنفس الروح التى كان عليها خطاب معاداة السامية يؤخذ كأمر مسلم به فى فترة سابقة من القرن العشرين.

ويورد جون اسبوزيتو نماذج كثيرة بلا حصر، ويحدد مكان وتاريخ نشر كل كلمة مثل:

مجلة دير شبيجل الألمانية التى كتبت بعد تفكك يوغسلافيا والحرب على المسلمين فى البوسنة: (سرعان ما سيكون فى أوروبا دولة دينية (ثيوقراطية) متعصبة جاثمة على أعتابها).. وكتبت أيضا: (فى الشرق الأوسط على وجه الخصوص، وهو المركز والمهد للإسلام، يمثل الملتحون المتطرفون دائما صورة مقاتل تتحدد ملامحه بالجهاد والتضحية بالدم والتعصب والعنف وعدم التسامح وقهر المرأة).

وفى فرنسا فإن النزعة تجاه المسلمين تتحدد باعتبارهم قوما معادين للتقدم من أهل العنف، ويمكن شرح ذلك من خلال أصول دينهم، فإنه دين يدعو إلى الحرب، متعطش للغزو، ومليء بالاحتقار لغير المسلمين.

وفى استفتاء تبين أن ثلاثة من بين كل أربعة فرنسيين تم سؤالهم يرون أن كلمة متعصب تنطبق تماما على الإسلام، وقضية منع التلميذات من لبس الحجاب تمثل الفجوة التى تتسع باستمرار بين المجتمع الفرنسي والأقلية المسلمة. وبعد ثلاثة عشر قرنا تقريبا من تصدى شارل مارتل للغزو الإسلامى لفرنسا عند مدينة بواتييه، فإن معركة بواتييه الجديدة تتضمن فى طياتها الشك المتصاعد، والعداوة، تجاه الدين الإسلامى فى أوروبا.

ويقول اسبوزيتو: إن مخاوف الغربيين يعبرون عنها بقولهم: لقد كان المهاجرون الذين وفدوا إلينا من قبل أوروبيين، أما هؤلاء فليسوا كذلك.. البنات يبدين الإصرار على ارتداء الحجاب فى مدارسنا، فهن لسن فرنسيات ولا يردن أن يكن كذلك.. إن ماضى أوربا أبيض، ويهودى - مسيحى، أما المستقبل فليس كذلك وهناك شك فى أن مؤسساتنا وهياكلنا القديمة سوف تصمد لهذه الضغوط.

وأقوال أخرى كثيرة يقتبسها اسبوزيتو مثل: (بينما استطاعت أوروبا أن تتغلب على الحرب الباردة فإنها تخاطر الآن بخلق نزاعات جديدة باعتبارها القلعة البيضاء المسيحية الغنية التى تصارع ضد عالم إسلامى شديد الفقر).

وعندما بدأ إنشاء الجامع الكبير فى باريس ظهرت مخاوف ووجد مقاومة شديدة من السلطات الفرنسية وقيل: إنه سيكون مكانا لتفريخ المتطرفين، انسياقا وراء الفكرة السائدة بأن المسلمين متطرفون، وأن كل مسجد هو مكان لتفريخ المتطرفين، وأعلن حزب (الجبهة الوطنية) اليمينية المتطرفة التى يقودها لوبن، -وهو حزب يعادى الإسلام والمسلمين والمهاجرين- وزعيمه يعلن بكل وضوح أنه عندما يصل إلى الحكم فسوف يطرد كل (الأجانب) من فرنسا لتبقى فرنسا للفرنسيين فقط، وفى حملته الانتخابية حين كان لوبن مرشحا للرئاسة ومنافسا للرئيس جاك شيراك أعلن عداءه الصريح لكل ما يمت للإسلام بصلة، وكاد يفوز بالرئاسة، وحصل على أصوات جعلته يدخل انتخابات الإعادة بينه وبين شيراك، مما يدل على القوة التى وصل إليها التيار المحافظ المعادى للأجانب وللإسلام والمسلمين حتى فى فرنسا بلد الحرية والإخاء والمساواة.

ويقول: ويبدو المسلمون في الغرب أولا مختلفين عن غيرهم من المـهاجرين. أو الأهالى الذين اعتنقوا الإسلام ممن يشتركون فى ثقافة يهودية - مسيحية مشتركة أيـًّا كانت اختلافاتهم العرقية. والمسلمون مثل اليهود فى الماضى، يجدون أنفسهم في سياقات ثقافية غربية يعتبرون فيها هم (الآخر) بكل معنى الكلمة، ومن ثم فإنهم يشكلون تهديدا، كما قالت صحيفة (نيو ريبابلك) الأمريكية في مقال بعنوان (المهاجرون) يوم ١٩ أبريل ١٩٩٣: إن المرء لا يمكن أن ينكر أن هناك ثقافة عربية فى بروكلين، وجيرسى سيتى، وديترويت، يتغذى عليها المجرمون، ويحصلون على نشوة غريبة منها، وهم لا يعترفون بأن بلادنا بلادهم، ولا يشاطروننا قيمنا... ويعلق اسبوزيتو على ذلك بقوله: إن السبب فى هذه الكراهية ليس الجهل بالإسلام فقط، أو مساواة الإسلام بالتطرف والإرهاب فقط، ولكن يضاف إلى هذين السببين الفشل فى التعرف على المدى الذى يكون فيه الإسلام جزءا من الموروث اليهودى المسيحى الإسلامى، وغالبا ما تكون التقسيمات التى تضع الإسلام فى مواجهة الغرب قد فرضتها رؤى فكرية ودينية تميز تراثا يهوديا مسيحيا، وتضعه فى مرتبة أعلى من الديانات الأخرى وفى مواجهة معها.. ولذلك فإن الإسلام بالرغم من أنه ديانة توحيد وله نبى، يضعه الغرب ضمن مجموعات (الديانات الأجنبية) تماما مثل الهندوسية، والبوذية، والتاوية (الديانة السائدة فى الصين) ويضاف إلى ذلك أن الغرب ينظر إلى المسلمين على أنهم أعداء التحررية الليبرالية، لأنهم يجعلون الإسلام هو الهوية بينما الغرب لا يرى أن هوية شعب تتوقف على ديانته.. يقول اسبوزيتو أيضا: إن تلوين الإسلام بالعنف جعل النظرة إلى المسلمين تماثل النظرة إلى مجموعة (بويرتو ريكان) الإرهابية فى نيويورك، وعصبة الدفاع اليهودى، والجيش الجمهورى فى أيرلندا، والمافيا، والمتطرفين المسيحيين الذين يسمون أنفسهم (جيش الرب).

وكذلك ليست هناك تفرقة بين حركات التحرير والمقاومة من ناحية والمنظمات الإرهابية من ناحية أخرى، وأيضا هناك من يرون تناقضا بين الإسلام والتراث اليهودى - المسيحى فى قضايا مثل: العنف، والجهاد، والسلام، والثأر بالإضافة إلى اختلافات ثقافية ودينية، وفروق جوهرية تجعل من المستحيل التوفيق بين

مبادئ الإسلام، والمبادئ والقيم السائدة فى الغرب، وهذا كله أدى إلى وجود هذا الاتجاه الذى صنع الغربة والتهميش والتشدد.

ويتوقف اسبوزيتو عند القضية التقليدية التى تثار فى الغرب، وهى أن الإسلام غير ديمقراطى بطبيعته وغير متسامح مع الآخرين، أو هو فى أحسن الأحوال لا يرحب بالديمقراطية، وعلى الرغم من النفوذ الغربى فى الدول الإسلامية ووجود واجهة برلمانية فى بعض البلاد الإسلامية فإن الحقيقة وراء ذلك هى الحكم الاستبدادى، وجمعيات برلمانية يسيطر عليها حزب واحد، وقد تم وصف الدول العربية بأنها دول حكم بوليس ومخابرات، ويعتمد استقرار حكامها على القوات العسكرية وقوات الأمن، وغالبا ما يفرض الحظر على الأحزاب والاتحادات، أما مؤسسات المجتمع المدنى الثقافية فهى ضعيفة وليس لها تأثير.

والحديث عن التحول الديمقراطى يزعج الحكام فى العالم الإسلامى، والدول الغربية تخشى تحول الدول الإسلامية إلى الديمقراطية، لأن ذلك قد يؤدى إلى تغيير الأصدقاء القدامى الذين يعتمد عليهم الغرب، أو يؤدى إلى أن تصبح الدول الإسلامية أكثر استقلالا فلا يمكن التنبؤ بأفعالها وعلى ذلك فإن الاستقرار فى هذه الدول والحفاظ على الوضع الراهن يضمن استقرار مصالح الغرب.

واسبوزيتو له كتاب عن (الإسلام والديمقراطية) يطرح فيه سؤالا: هل الإسلام يتعارض مع الديمقراطية بالضرورة ؟.. ويقول إن كثيرين يرون أن القيم الإسلامية تتصادم بطبيعتها مع القيم الديمقراطية على نحو ما شوهد فى قضية مثل عدم المساواة بين المؤمنين وغير المؤمنين وعدم المساواة بين الرجال والنساء، وقد حدث تغير فى الفكر اليهودى المسيحى ولم يحدث تغير مماثل فى الفكر الإسلامى، فقد كان الفكر اليهودى المسيحى فى مرحلة سابقة يؤيد الحكم المطلق، والاستبداد، والحق الإلهى للملوك فى الحكم ثم أعيد تفسير الفكر لكى يلائم الديمقراطية. والإسلام يستخدم لتبرير النظم سواء فى ذلك النظم الديكتاتورية أم الديمقراطية أم الملكية، أم الجمهورية، وقد أعلن بعض قادة الحركات الإسلامية أنهم ضد الديمقراطية الغربية ونظم الحكم البرلمانى وقالوا: إن الإسلام مكتف ذاتيا، وله نظام شرعه الله يقوم على السلطة الإلهية وعلى الشريعة

والحاكمية لله، وهذا يتعارض تماما مع مفاهيم السلطة الشعبية والقانون المدنى، وحتى بعض الإسلاميين المعتدلين يعلنون أن الديمقراطية نظام غربى غريب عن الإسلام، وينقل اسبوزيتو عن مجلة (مرآة الشرق الأوسط) عدد ٣٠ مارس ١٩٩٢ قول أحد الحكام فى العالم الإسلامى: (إن النظام الديمقراطى السائد فى العالم لا يناسب هذه المنطقة.. فالنظام الانتخابى لا وجود له فى العقيدة الإسلامية التى تدعو إلى حكومة قائمة على الشورى، وانفتاح الراعى على الرعية، وتجعل الحاكم مسئولا أمام الله وأمام شعبه.. وإن كان كثير من المسلمين قد تقبلوا مفهوم الديمقراطية فإنهم قبلوها بشكل مختلف عن معناها الدقيق فكانت أسلمة الديمقراطية تقوم على إعادة تفسير المفاهيم الإسلامية التقليدية عن الشورى، والإجماع والاجتهاد). ويقول اسبوزيتو إن بعض الراديكاليين الإسلاميين رفضوا الديمقراطية البرلمانية، وبعضهم رأى قبولها والاستفادة منها للدخول فيها ومعارضة أنظمة الحكم، وهذا هو موقف الإخوان فى مصر والجماعة الإسلامية فى باكستان وكشمير، والهند وبنجلاديش، وحزب الرفاه فى تركيا، وجبهة الإنقاذ فى الجزائر، وحزب النهضة فى تونس، وجمعية الإصلاح فى الكويت، والمحمدية ونهضة العلماء فى إندونيسيا، وغيرها، كلهم حبذوا الانتخابات ويشاركون فيها، يقول أحد الدبلوماسيين الغربيين: إن الحكام فى العالم الإسلامى يقبلون (ديمقراطية بلا مخاطر) أو (ديمقراطية بدون معارضة).

هكذا نرى أن صورة الإسلام كما تنعكس فى كتابات جون اسبوزيتو مليئة بالتشويه، وهو الذى يوصف بأنه أكثر الباحثين الأمريكيين موضوعية وتفهما للإسلام: فالإسلام -كما يدعى- إذا وصل إلى السلطة لا يعرف إلا الحكم الدكتاتورى ولا يسمح باختلاف أو معارضة سياسية لأن الحاكم يحكم بالشريعة، أى أنه يحكم بما أنزل الله وأية معارضة ستكون معارضة لله، ولن تكون للأقليات حرية، ولن تجد المرأة إلا المكانة المنحطة التى وضعتها فيها حكومة طالبان فى أفغانستان، ويقول اسبوزيتو أكثر من ذلك: إن المسلمين يستسهلون الحديث عن التسامح وحقوق الإنسان فى الإسلام ولا يمارسونها فى الواقع، والمسلمون يقولون: إن هناك فرقا بين تعاليم الإسلام وما يفعله بعض المسلمين، وهذا نوع من التضليل لأن ما يفعله هؤلاء البعض يستندون فيه إلى النصوص المقدسة، والمسلمون

يقولون: إنهم يعترفون بالأديان السابقة عليهم وهذا غير صحيح بدليل أنهم يعتبرون دينهم قد نسخ الأديان الأخرى، بينما يؤمن المسيحيون بأنهم أصحاب الوحى الأخير والكامل، وأن المسيح عندهم ابن الرب وليس نبيا، وأن لديهم تكليفا عالميا بتحويل العالم إلى المسيحية، وبعض المسلمين مثل بعض المسيحيين واليهود غير متسامحين قولا وفعلا، وبعض المسلمين والمسيحيين تفرض عليهم مواقعهم الدينية نوعا من الجمود الدينى، وشعورا بأنهم وحدهم على الحق، والآخرون على الباطل، وهم يؤكدون على صحة ديانتهم، يرحبون بالحوار مع المؤمنين الآخرين عندما يدركون حقائق العالم المعاصر الذى يقوم على التعددية والاعتماد المتبادل. وبدون إعادة تفسير الشريعة الإسلامية التى تعتبر الأقليات غير المسلمة من أهل الذمة، ويؤكد اسبوزيتو مثل جميع الباحثين فى الغرب إن أية دولة إسلامية تقوم على أيديولوجية دينية لن تكون دولة ديمقراطية، وفى أحسن الفروض ستكون الديمقراطية فيها محدودة.

كل هذا وجون اسبوزيتو يعتبر دارسا موضوعيا ومنصفا للإسلام!

إذا كان هذا رأى أكثر الباحثين الأمريكيين فهما للإسلام وإنصافا له، فماذا ننتظر ممن لم يدرسوه ولم يفهموه؟ وهل فكرت جهة إسلامية فى دعوته وأمثاله إلى حوار لتصحيح هذه المفاهيم الظالمة للإسلام والمسلمين؟.. وهل فكرت جهة فى تكوين جماعات من المفكرين والمثقفين الدارسين للإسلام والمتابعين للتيارات المعادية له فى الغرب والمدركين لطبيعة عصر العولمة الذى أصبح مستعدا لإعلان الحرب على كل من يختلف مع القيم والمفاهيم السياسية والاقتصادية التى جاءت مع العولمة؟!.

ماذا فعلنا.. وماذا يجب أن نفعل لإقناع العالم بأن الإسلام دين الناس الطيبين وليس دين الشياطين والأشرار المخربين؟!.

obeikandl.com

هيستريا العداء للمسلمين

خصصت صحيفة واشنطن بوست أشهر الصحف الأمريكية افتتاحيتها يوم ٨ أكتوبر٢٠٠٢ عن موقف الإدارة الأمريكية من الإسلام بقيادة الرئيس جورج بوش، تحت عنوان (بوش والكارهون للإسلام) قالت فيها: إن الرئيس الأمريكى طالب الأمريكيين بعدم إدانة الإسلام بسبب أفعال الإرهابيين الذين يرتكبون الجرائم باسم عقيدتهم، وزار الرئيس بوش المركز الإسلامى فى واشنطن وقال فى كلمته هناك: (إن الإسلام دين سلام) ووجه كلمة إلى الأمريكيين طالبهم فيها بعدم توجيه غضبهم إلى المسلمين والعرب الأمريكيين الأبرياء. وفى حديث آخر قال الرئيس بوش: إن الإرهابيين (خونة لديانتهم)، وإن تعاليم أسامة بن لادن كانت تشويها بشعا لدين عظيم.

وقالت فى بقية المقال: إن بعض القادة البارزين فى تيار اليمين الدينى فى أمريكا يعارضون هذا الاتجاه، وهم من الحلفاء المقربين للرئيس الأمريكى، والرئيس بوش نفسه لا يعارض الأفكار التى يعلنونها والخطط التى ينفذونها تعبيرا عن التعصب الدينى المعادى للمسلمين، ويبدو كأن الرئيس الأمريكى لا يرى ما يفعلونه،ولايسمع ما يقولونه. وتقول واشنطن بوست: -وهى أقرب الصحف الأمريكية إلى البيت الأبيض والمخابرات الأمريكية - إن هؤلاء القادة المتعصبين يعتبرون بوش واحدا منهم، ومنهم القس فرانكلين جراهام، وهو ابن وخليفة بيل جراهام، وقد شارك فى مراسم تسلم الرئيس بوش رئاسة أمريكا، وقد أعلن: (أن الإسلام دين شرير وكريه جدا)، ومن هذه المجموعة أيضا بات روبرتسون وهو مؤسس الائتلاف المسيحى وصاحب برنامج دينى للتبشير فى التليفزيون، وقد قال: (إن الظن بأن الإسلام دين سلام هو نوع من التفكير المخادع) وقال عن النبى محمد (صلى الله عليه وسلم): (إنه متعصب، راديكالى، لص يسرق علنا، وقاتل يقتل علنا).. ومن هذه المجموعة كذلك جيرى فالويل،

وقد ظهر فى البرنامج الشهير (ستون دقيقة) فى شبكة (سى. بى. إس) قال: (إن نبى الإسلام إرهابى) .

وقالت أيضا: إن هذه المواقف والأقوال ليست صادرة عن حركة متطرفة، ولكنها صادرة عن شخصيات لهم تأثيرهم، ولهم مواقع قيادية فى الساحة السياسية الأمريكية، وهم من قادة اليمين الدينى ، وهى حركة قريبة من فكر ومواقف الرئيس بوش، الذى يتحدث بلغتهم، ويعتنق معهم نفس المبادئ، وإذا كان الرئيس بوش حقيقة يؤمن بالتسامح مع الإسلام والمسلمين، فعليه أن يخرج عن سكوته على تحريفهم الصريح، وعليه أن يبتعد عنهم بمسافة تعطى لأقواله مصداقية وتحدد الفارق بينه وبين لغتهم المتطرفة. أما استمرار صمت الرئيس بوش على مواقف بعض من فى الدائرة الضيقة المحيطة به فإنه يعنى أن هناك وحدة فكر تجمع بينهم، وإذا كانت مواقفهم لا تتفق مع موقفه فمن الضرورى أن يعلن ذلك ويتبرأ منهم... هذا ما قالته واشنطن بوست! .

ومن المقربين إلى الرئيس الأمريكى جورج بوش القس جيرى فالويل، من تيار اليمين الدينى الذى ينتمى إليه بوش، وهو أيضا من الذين ساعدوه بقوة فى الوصول إلى البيت الأبيض، وله موقع باسمه على الإنترنت ملىء بالمعلومات المشوهة عن العقيدة الإسلامية والتاريخ الإسلامى، وفى شهر أكتوبر ٢٠٠٢ ظهر فى برنامج تلفزيونى على شبكة (سى. بى. إس) قال فيه: إنه قرأ التاريخ الإسلامى جيدا، والنتيجة التى توصل إليها من قراءاته هذه أن رسول الإسلام ﷺ رجل عنف، وإرهابى. وإن كان قد حاول التهرب من انتقادات المسلمين فى أمريكا بالقول بعد ذلك بأنه لم يقصد الإساءة إلى المسلمين الملتزمين بالقانون دون أن يتراجع عما قاله عن الرسول وعن الدين الإسلامى.

والحيلة القانونية التى يستخدمها أعداء الإسلام فى الغرب هى القول بأنهم لا يعلنون الازدراء للمسلمين، ولكن يشعرون بالازدراء للإسلام، وذلك لتفادى القوانين التى تعاقب على التمييز والازدراء لطائفة من الناس ولا تعاقب على ازدراء الأديان، وهذا ما فعله أيضا ميشيل هولبيك الكاتب الفرنسى صاحب رواية (بلاتفورم) الذى قال فى حديث مع مجلة (لير) الأدبية: (إن الإسلام فى النهاية هو أغبى الأديان على الإطلاق، وعندما تقرأ القرآن تشعر بالملل، وعندما

رفعت أربع مؤسسات إسلامية فى فرنسا دعوى أمام المحكمة، وانضمت إليها رابطة حقوق الإنسان الفرنسية وأعلنت أن تصريحات هولبيك تعبر عن (إسلاموفوبيا) أى (الخوف من الإسلام).. وقف الكاتب الفرنسى أمام المحكمة ليقول: إننى لم أظهر أى ازدراء للمسلمين، ولكن ازدرائى الشديد للإسلام لم يتغير وإننى أشعر أن القرآن أقل منزلة من الإنجيل من الناحية الأدبية، فالإنجيل له أكثر من كاتب بعضهم جيد وبعضهم ردىء ، أما القرآن فله مصدر واحد وأسلوبه متوسط. . وقد فاز هولبيك بجائزة إمباك وهى أكبر جائزة أدبية فى فرنسا، وكتب فى روايته (بلاتفورم) على لسان بطل الرواية (إننى أشعر برعشة سعادة فى كل مرة أسمع فيها بمقتل إرهابى فلسطينى) .

وربما كان هذا ما دفع مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا إلى أن يوجه فى مؤتمر عام انتقادات حادة إلى الولايات المتحدة بسبب هيستريا العداء للمسلمين، إلى حد أن ضباط الأمن فى مطار نيويورك صعدوا إلى الطائرة التى كان مهاتير محمد يستقلها فى طريقه للعودة إلى بلاده بعد زيارة رسمية إلى الولايات المتحدة وتحرشوا بالمرافقين له بطريقة وصفتها وكالات الأنباء بأنها طريقة مهينة. أما نائب رئيس الوزراء الماليزى عبد الله بدوى فقد قام رجال الأمن الأمريكيون بتفتيشه بطريقة فظة وأرغموه على أن يخلع حذاءه وحزامه. . وعندما عاد رئيس الوزراء الماليزى قال فى خطاب له : إن المسلمين يتعرضون للإهانات والاستغلال فى جميع أرجاء العالم، وذلك بسبب ضعفهم، ويجب عليهم أن يرفضوا الاستغلال وأن يكونوا أقوياء، وان يقللوا من اعتمادهم على الآخرين، وأن يسعوا إلى امتلاك المعرفة، وتحدث فى هذا الخطاب طويلا عن شعوره بالمرارة من حالة العداء التى تحاصر المسلمين خاصة فى أعقاب هجمات سبتمبر ٢٠٠١.

وقريب من هذا ما قالته الدكتورة انجريد ماتسون أستاذة الأديان بكلية هارت فورد بولاية كنتاكت، وقد أعلنت إسلامها منذ سنوات وتشغل منصب نائب رئيس الاتحاد الإسلامى لأمريكا الشمالية، فقد ظهرت فى برنامج تليفزيونى عن صورة الإسلام فى أمريكا وقالت: إن اليمنيين المسيحيين فى أمريكا يكرهون الإسلام كعقيدة وكدين وكثقافة وكتاريخ، وقالت: إن ابنى يذهب إلى مدرسة عامة، وهو يعانى ممايحدث له مع زملائه الذين يرفضون أن يلعب معهم لأنه مسلم،

وقالت: إن الإسلام يظهر على شاشات التليفزيون على أنه شيء مخيف، وبالنسبة للأطفال المسلمين في أمريكا فإنهم يواجهون تحديا يتطلب منهم قدرا غير عادى من الشجاعة، لأن الأمر ليس إيجابيا فيما يخص الهوية الإسلامية للمسلم.

والحملة لتشويه صورة الإسلام لا تقتصر على التليفزيون فقط، أو على تيار اليمين الدينى المتطرف فقط، ولكن يبدو أنها أبعد من ذلك، ففى المراكز الأكاديمية للأبحاث توجه هذه الحملة ضد الإسلام والعالم الإسلامى، وفى الحكومة الأمريكية يمكن أن نجد صدى لهذا التوجه، فقد نشرت مجلة (تايم) الأمريكية على سبيل المثال في عدد ١٣ يناير ١٩٨٦ واقعة غريبة، ملخصها أن الدكتور د. نداف سفران وهو أستاذ يهودى، مصرى الأصل، أمريكى الجنسية، وتلقى بصفته مدير مركز دراسات الشرق الأوسط فى جامعة هارفارد مبلغ ٤٥ ألف دولار من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لعقد مؤتمر دولى عن (الأصولية الإسلامية) يبدو مؤتمرا للبحث العلمى الأكاديمى المحايد. ويشترك فيه عدد من الباحثين والمفكرين المسلمين واليهود والمسيحيين. وأرجو أن يتوقف المسلمون عند هذه الواقعة لأنها مفتاح لفهم الكثير مما يجرى هناك.. وهنا!

وموضوع دراسات الشرق الأوسط فى أمريكا وأوروبا يمثل قاعدة واسعة تضم عشرات الآلاف من الباحثين مهمتهم رصد ودراسة وتحليل كل ما فى العالم الإسلامى والعربى ابتداء من العقيدة والثقافة والفنون إلى الزراعة والأمثال والأغانى الشعبية السائدة. وهناك مئات المجلات والدوريات المتخصصة الجادة غير الحكومية تصدر فى أمريكا ودول أوروبا عن الإسلام والمسلمين والعالم العربى، هذا بالإضافة إلى المراكز القائمة داخل البلاد الإسلامية تحت مسميات مختلفة متفرغة للرصد والجمع والتحليل لكل المعلومات، وبالإضافة أيضا إلى ما تقوم به الجامعات والمراكز الأكاديمية. ويقول نورمان دانييل فى كتابه (الإسلام والغرب) إن معظم ما يكتب فى الغرب عن الإسلام والمسلمين ليس من باب البحث العلمى النزيه، وإنما هو عمل مخطط توجهه وتدعمه الحكومات والشركات لصالحها، وكثير من الباحثين مجندون لتحقيق نفس الغايات التى تجند لها الجيوش.

ويتلخص رأى الباحث الأمريكى المعروف جون اسبوزيتو فى رؤيته لتناقضات الموقف فى الولايات المتحدة من الإسلام، فى أن الحكومة الأمريكية تعلن الحرب على الأصولية الإسلامية وفى نفس الوقت تجرى اتصالات وتقدم مساعدات إلى الحركات الأصولية الإسلامية عندما تجد أن هذه الحركات تحقق المصالح والأهداف الأمريكية، والحكومة الأمريكية توجه إلى الحكومات فى الدول الإسلامية انتقادات حادة لأنها تعمل على قمع الحركات الأصولية الإسلامية، وتعتبر ذلك اعتداء على الديمقراطية وحقوق الإنسان، وفى نفس الوقت فإنها تطلب من الحكومات الإسلامية كبح جماح الحركات الأصولية، ويقول اسبوزيتو: إن الحكومة الأمريكية تعتبر الأصولية الإسلامية خطرا بينما لا تعتبر الأصولية الدينية كذلك فى إسرائيل وجنوب أفريقيا، وبولندا، وأمريكا اللاتينية، وشرق أوربا، وغالبا ما يغيب التناول العادل ويتضح التمييز عندما يكون الأمر متعلقا بالإسلام، وقد قام الرئيس الأمريكى الأسبق بقصف ليبيا بحجة ضرب الحركة الأصولية الإسلامية، فى حين اعتبر المسلمون ذلك تعبيرا عن عداء أمريكى للإسلام وللعالم الإسلامى، وكذلك فإن ما قاله كويل نائب الرئيس الأمريكى فى حفل التخرج فى الأكاديمية البحرية عام ١٩٩٩ عن التشابه بين النازية والأصولية الإسلامية، وقد أصبح منظور (الخطر الإسلامى) يحرك سياسة الولايات المتحدة التى لا تعترف بوجود فوارق أيديولوجية بين الغرب والإسلام، وتريد أن تفرض على الإسلام الأيديولوجية الغربية، وقد عبر السياسى المعروف روبرت بلليترو عن الموقف الأمريكى بقوله: (إن صورة الإسلام فى ذهن قارئ الصحف العادى هى صورة عن فكر جامد يحمل العداء للغرب، ومستعد لاستخدام العنف والإرهاب).

وحين تم تفجير سفارتى الولايات المتحدة فى كينيا وتنزانيا فى ٧ أغسطس ١٩٩٨ وأدى إلى قتل ٢٦٣ شخصا وإصابة أكثر من خمسة آلاف، كان العنوان الرئيس فى صحيفة واشنطن بوست (الإسلام متعهد الإرهاب)، وبعدها بأيام فى ٢٧ أغسطس قصفت الطائرات الأمريكية مصنع الأدوية فى السودان الذى ينتج ٩٠٪ من الأدوية التى يحتاج إليها السودان وأعلنت أن هذا المصنع ينتج أسلحة كيماوية، كما أعلنت أن هذه بداية مرحلة جديدة من الحرب ضد (الإرهاب

الإسلامى)، وبعد أن دعا السودان الأمم المتحدة إلى إرسال فريق تفتيش، وقام عدد كبير من الدبلوماسيين والصحفيين الغربيين بتفتيش بقايا المصنع بعد تدميره فلم يجدوا أى دليل على أنه كان ينتج أية كيماويات خطرة، اعترف المتحدث الرسمى باسم الولايات المتحدة بأنهم بنوا استنتاجهم على أساس تقرير غير كاف من المخابرات الأمريكية !

ولم يكن ذلك إلا تعبيرا عن هيستريا العداء للإسلام !

ويقول اسبوزيتو: إن التسعينات شهدت سلسلة من الهجمات والتفجيرات وحوادث الاغتيال فى دول إسلامية وغربية، مثل حادث الاعتداء على السياح فى الأقصر، وذبح آلاف فى الجزائر، والهجوم على القوات الأمريكية فى الرياض والظهران، وتفجير السفارتين الأمريكيتين فى كينيا وتنزانيا، كانت بالنسبة لكثيرين فى الحكومة الأمريكية (حرب إرهاب عالمية يشنها الإرهابيون الإسلاميون ضد الولايات المتحدة ومصالحها) وصار الرمز لتلك الحرب هو أسامة بن لادن، المليونير السعودى الذى يسمونه فى كتاباتهم (الأب الروحى للإرهاب الإسلامى العالمى ومقاول الإرهاب) ويعتبره بعض المسلمين (المجاهد الحقيقى) و (المحارب فى سبيل الحرية). وأسامة بن لادن المليونير السعودى الأصل، المتعلم تعليما جيدا، الذى ترك بلاده وذهب إلى أفغانستان لمحاربة الاحتلال السوفيتى، وكان حليفا للولايات المتحدة، وكانت المخابرات الأمريكية تزوده بالسلاح والمتطوعين من أنحاء العالم الإسلامى، سرعان ما أصبح القائد لكثيرين من (الأفغان العرب) الذين جاءوا من دول العالم الإسلامى للمشاركة فى (الجهاد ضد الاحتلال السوفيتى وتحرير أرض الإسلام)، وبعد رحيل الاحتلال السوفيتى عاد إلى بلده، ولكنه اعترض بشدة على حرب الخليج عام ١٩٩١ وعلى الوجود العسكرى الأمريكى فى السعودية، وهذا ما جعله يصطدم بحكومته وذهب إلى السودان، وفى سنة ١٩٩٦ طلبت الحكومة السودانية منه أن يرحل بعد أن تزايدت اتهامات الولايات المتحدة له ولحكومة السودان لاستخدامه أراضى السودان قاعدة لتدريب الإرهابيين وتخطيط أعماله الإرهابية العالمية. وتتهم الولايات المتحدة أسامة بن لادن الآن بأنه مؤسس جماعات الإرهاب الإسلامى، والممول للجماعة التى فجرت مركز التجارة العالمى فى نيويورك، وأنه

كذلك الممول للقتال المدمر فى الصومال سنة ١٩٩٣، ولحادث تفجير أبراج الخبر فى الظهران عام ١٩٩٦ (وقد أعلن إنكاره لهذه الاتهامات) وحادث قتل ٥٨ سائحا فى الأقصر عام ١٩٩٧، وتفجيرات تنزانيا وكينيا، وأخيرا تفجير مطعم وملهى فى جزيرة بالى بإندونيسيا أسفر عن مقتل ٢٠٠ شخص أغلبهم من السياح الأستراليين، وقد اعترف بمشاركته فى الهجمات بالصومال، واعتبر الذين قاموا بتفجيرات الرياض والظهران (أبطالا) رغم إنكاره التورط فيها، وهدد بشن هجمات ضد الأمريكيين فى السعودية، ووعد بالرد عالميا على هجمات أمريكا بصواريخ كروز على أفغانستان، وفى عام ١٩٩٨ أعلن تكوين (تحالف عالمى) لجماعات المتطرفين باسم (الجبهة الإسلامية للجهاد ضد اليهود والصليبيين).

ويقول: إن رسالة أسامة بن لادن تتفق مع مشاعر الكثيرين فى العالم العربى والإسلامى، وفى انتقاد شديد لسياسة الولايات المتحدة تجاه العالم الإسلامى، ودعمها المنحاز لإسرائيل، ورفضها إدانة قصف إسرائيل للمدنيين فى مذبحة قانا بلبنان سنة ١٩٩٦، وإصرارها على فرض العقوبات على العراق مما أدى إلى وفاة مئات آلاف من المدنيين والأطفال العراقيين، كما أنه يرفض الحملات الصليبية الجديدة فى الخليج والوجود العسكرى والاقتصادى الأمريكى المكثف، وأضاف إلى ذلك قضايا جماهيرية أخرى مثل البوسنة، وكوسوفو، والشيشان، وكشمير.

وتعليقا على ذلك يقول اسبوزيتو: إن التركيز على أسامة بن لادن يحمل مخاطر الوقوف أمام مصدر واحد للإرهاب، وإغفال التعدد فى المصادر العالمية للإرهاب من إرهاب دولة، وإرهاب لا ترعاه دولة، وإرهاب إسلامى، وإرهاب غير إسلامى.. ويقول أيضا: إن التركيز يجعل دفاع أمريكا الثابت عن الديمقراطية، وعن الحملة الصليبية على الإرهاب العالمى، يتحول إلى جعل أسامةبن لادن بطلا فى أنحاء كثيرة من العالم الإسلامى، والفكر الأمريكى لم يعد يفرق بين (الثورة) وبين (الإرهاب) وبين (الاستخدام المشروع للقوة) و (الاستخدام غير المشروع للقوة) وبين (المسلمين المعتدلين) و (المتطرفين) وبين (الحركات الجماهيرية) و (المنظمات الإرهابية)، والغربيون واليهود يعلنون الحرب، ويستخدمون القوة والعنف، ولكنهم يعتبرون حروبهم حروبا دفاعية وحروب المسلمين حروبا

عدوانية، ويعتبرون حروبهم عادلة وحروب المسلمين حروبا ظالمة نابعة من الكراهية والعداء للغرب، ولا يفرق الغربيون والإسرائيليون بين المقاومة والإرهاب ولا يعترفون بالخط الفاصل بين حركات التحرير الوطنى والمنظمات الإرهابية، ويكررون ما حدث فى التاريخ، فقد كان أبطال الثورة الأمريكية عصاة ومتمردين وإرهابيين فى نظر الاحتلال البريطانى لأمريكا، كما كان نيلسون مانديلا وياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية فى نظر خصومهم إرهابيين يقودون حركات إرهابية، وفى النهاية يمكن أن تضيع الفوارق بين ما هو حق وما هو باطل.. وعلى سبيل المثال فإن الحزام الأمنى الذى أقامته إسرائيل ليس موجودا فى داخل الأراضى التى أقيمت عليها الدولة الصهيونية ظلما وعدوانا منذ أكثر من نصف قرن، وإنما هو موجود داخل حدود دولة أخرى ذات سيادة هى دولة لبنان، والمسألة ليست مسألة وجهات نظر مختلفة، ولكنها مسألة قانون دولى وحقوق مشروعة لشعب ودولة لبنان.

ويتساءل عن الإسلام هل هو تحد أو تهديد؟ ويقول إن (الأصولية الإسلامية) تُعرف على مدى أكثر من عشر سنوات على أنها تهديد للعالم الغربى، وهذا الاعتقاد نشأ من تأثير الثورة الإيرانية، وإعلانها مبدأ تصدير الثورة، وربط القذافى والخومينى بالإرهاب العالمى والهجمات التى شنتها جماعات متطرفة سرية، وحذر كثيرون فى الغرب من تكرار نموذج إيران فى الغرب ، وأدى ذلك إلى اعتبار الإسلام ظاهرة مرضية. ولا يمكن اعتبار (الأصولية) وليدة الفقر والبطالة، فإن كان المؤيدون لجبهة الإنقاذ الإسلامية فى الجزائر من الشباب العاطل، فإن (الإخوان المسلمين) فى مصر والأردن معظمهم من المهنيين أبناء الطبقة المتوسطة والعليا من معلمين وأطباء ومهندسين ومحامين. وكذلك فإن التركيز على اعتبار (الأصولية الإسلامية) تهديدا عالميا أدى إلى مساواة الإرهاب بالإسلام، وإلى الخلط بين الإرهاب والاستخدام المشروع للقوة دفاعا عن النفس. وهذا مقياس لا يطبق فى الغرب على اليهودية والمسيحية، كما أن ذلك خلق مناخا من الخوف جعل الإسلام والمنظمات الإسلامية مذنبين حتى تثبت براءتهم، وجعل الأفعال الدنيئة التى يرتكبها مسلمون تنسب إلى الإسلام ولا تنسب إلى التفسيرات المنحرفة للدين الإسلامى. فالمسيحية

والدول الغربية لها سجل تاريخى فى إشعال الحروب، وتطوير أسلحة الدمار الشامل، وفرض الهيمنة الاستعمارية، ومع ذلك فإن الإسلام والثقافة الإسلامية هى التى يتم تصويرها فى صورة من لديهم نزعة توسعية، وميل إلى العنف والحرب باسم الجهاد، والمخاطرة اليوم تتمثل فى أن المخاوف المبالغ فيها من الإسلام تؤدى إلى معيار مزدوج للديمقراطية وحقوق الإنسان فى العالم الإسلامى. وتظهر هذه الازدواجية فى الاهتمام الغربى بتطوير الاتحاد السوفييتى وأوربا الشرقية وعدم الاهتمام بتطوير الديمقراطية فى الشرق الأوسط، أو الدفاع عن المسلمين فى البوسنة والهرسك، وكوسوفا، والشيشان، وإذا كان فى العالم الإسلامى حكومات تحكم شعوبها بالقوة والتسلط فإن الغرب يعتبر أن هذا هو المفهوم الإسلامى للحكم.

هذا ما يقوله الباحث الأمريكى الشهير جون اسبوزيتو مع وضد الإسلام، وهو على أية حال من القلة التى تتحدث عن الإسلام بقدر من الموضوعية والفهم، بينما أكثر الذين يتحدثون عن الإسلام يهاجمون كل ما فيه دون محاولة لفهم حقيقته.

وعلى سبيل المثال فإن باحثا آخر هو رولاند جاكار حين أراد تقديم الإسلام فى كتابه (فتوى ضد الغرب) لم يجد نموذجا غير شركات توظيف الأموال فى مصر، وتحدث طويلا عن شركة الريان التى اجتذبت أموال المسلمين وقد بلغت مليارات الدولارات، وتمكن الريان من اكتساب ثقة جماهير المودعين بشركته (الإسلامية) التى تمنح المودعين ٢٠٪ سنويا، واشترى ذمم بعض الكبار بكشوف البركة التى ضمت أسماء عدد من الشخصيات المهمة كانت تتعامل معه وتسانده وتستفيد من عائد مميز على ودائعهم تقترب من ١٠٠٪، ثم حوكم بتهمة الغش، والتحايل، وتهريب الذهب، وتهريب الأسلحة، مع أن البوليس المصرى لم يكن بعيدا عن متابعة هذه الإمبراطورية المالية الإسلامية الغامضة.

ثم قدم رولاند جاكار نموذجا آخر يمثل الإسلام والمسلمين، هو (الجماعات الإسلامية) المتطرفة المنتشرة فى أنحاء العالم، ويقول: إن الدعم المالى يأتيهما من (البنوك الإسلامية) و (الجمعيات الخيرية الإسلامية) مشيرا إلى بنك التقوى الذى تم إنشاؤه فى ناسو عاصمة جزر البهاما عام ١٩٨٧ ويقول إن هذا البنك من

أهم مصادر المنظمات التى تشكل عصب الحرب التى يشنها الإسلاميون ولذلك لا تنقصهم الوسائل والمصادر للحصول على ما يحتاجون إليه لتنفيذ عملياتهم.

ومعظم الأمريكيين لا يرون من يمثل المسلمين غير أسامة بن لادن.. ولهذا يخصص رولاند جاكار فصلا مستقلا عن أسامة بن لادن الملياردير السعودى ويقول: إنه أصبح إحدى الشخصيات الخرافية وأكثرها غموضا فيما يتعلق بالقضية الإسلامية وتطوراتها على الصعيد العالمى، وقد انتشرت شائعة فى هوليوود عن إنتاج فيلم سينمائى عن ابن لادن يقوم ببطولته الممثل الأمريكى روبرت نيرو يصور كيف أصبح العدو الأول لكل من واشنطن والرياض باعتباره المسئول عن الحركات الإسلامية فى أوربا والشرق الأوسط، وتورطه فى عمليات الإرهاب الدولى، الذى يعمل على زعزعة استقرار السعودية مستندا إلى فتاوى تصدرها تنظيمات إسلامية عديدة بالتكفير وإهدار الدماء، وعلى رأسها (لجنة الفتوى والإصلاح) التى تتخذ من لندن مقرا لها ويرأسها خالد الفواز رجل ابن لادن فى أوربا، وتحظى هذه اللجنة بتأييد عشرات الآلاف من السعوديين داخل المملكة على حد قول رولاند جاكار. ويعتمد ابن لادن فى نشر وتوصيل رسائله وبياناته على شبكة من أتباعه فى أوربا وعلى بعض المواقع على شبكة الإنترنت العالمية، وقد نفى مسئوليته عن الهجمات ضد الأمريكيين فى الأراضى السعودية، لكنه وجه التحية لهذه العمليات، بينما أقر بدوره الحرب فى الصومال، وأتهم حكومة فرنسا بتأييد حكام الجزائر ضد الإسلاميين، واتهمها أيضا باضطهاد المسلمين فى فرنسا، وبعد الهجوم على سفارتى الولايات المتحدة فى كينيا وتنزانيا فى أغسطس ١٩٩٨ وجهت واشنطن صواريخ توما هوك على معسكرات التدريب التى يمولها ابن لادن فى أفغانستان، لكنه لم يكن متواجدا بها وقت الهجوم، ومنذ ذلك الحين لم يعد أحد يعرف مقر إقامته، وهكذا يرسخ جاكار فى أذهان الغربيين أن النموذج الإسلامى هو ابن لادن.

وفى فصل آخر يتحدث رولاند جاكار عن (خيوط العنكبوت الإسلامية) فى أوربا، ويقول فيه: إن التهديد الإرهابى الإسلامى حقيقة واقعة فى العاصمة البريطانية لندن منذ الاعتداء الذى تعرضت له السفارة الإسرائيلية هناك بسيارة مفخخة فى يوليو ١٩٩٤، ويقول: إن لندن أصبحت الملجأ الآمن للإسلاميين

الجزائريين، والحكومة البريطانية تعطى حرية كبيرة للمتطرفين الإسلاميين مقابل ضمان بالا تكون هدفا لعملياتهم ولذلك لم تحدث أية عمليات إرهابية ضد أهداف بريطانية!

ويقول رولاند جاكار: إن الرئيس المصرى حسنى مبارك كان أول من لفت الأنظار إلى الحرية التى تتمتع بها الشبكات المتطرفة فى لندن خاصة فى أعقاب الهجوم الإرهابى فى الأقصر، وفى مواجهة هذه الاتهامات وعدت السلطات البريطانية بإجراء تعديلات تشريعية لمكافحة الإرهاب.

ويتحدث رولاند جاكار بعد ذلك عن التواجد الإسلامى فى دول أوربا الأخرى فيقول: إن الدانمرك يعيش فيها ٢٤ ألف لاجئ مسلم بينهم متطرفون ينتمون إلى الجماعة الإسلامية التى تضم مصريين وباكستانيين وسودانيين، وفى بلجيكا يعتبر المجتمع الإسلامى فيها أكثر أهمية حيث يزيد عدد المسلمين على ٣٠٠ ألف شخص، والمساجد تلعب فيها دورًا أيديولوجيا ملموسا، وفى السويد يوجد إيرانيون تحت غطاء حزب الله، وفى ألمانيا أصبحت الجماعات الإرهابية مصدر قلق كبير للسلطات، وفى ألمانيا مليونان و ٢٠٠ ألف مسلم، وهى ملتقى تجمع المهاجرين من المغرب وتركيا، ولا تخفى السلطات الألمانية أنها تجد صعوبة كبيرة فى مراقبة الجماعات المتطرفة لتعددها وارتباطها بشبكات إرهابية دولية، وفى هولندا ٤٠٠ ألف مسلم يثيرون مشاكل لا يستهان بها على الصعيد الأمنى، وفى إيطاليا يمثل (المركز الثقافى الإسلامى) بمدينة ميلانو أهم بؤر الدعاية المتطرفة - كما يقول رولاند جاكار - ويضيف: إن مدير المركز، وهو مصرى الجنسية، على اتصال بالجماعات المصرية المتطرفة التى تصدر بياناتها عن طريقه، وتربطه علاقة وطيدة بالشيخ عمر عبد الرحمن إمام مسجد بروكلين الذى حكم عليه بالسجن فى أمريكا لمسئوليته عن الهجوم الأول على مركز التجارة العالمى بنيويورك.. أما فى سويسرا فيقول: إن فيها منظمات إسلامية عديدة منتشرة فى المدن، والمركز الإسلامى فى جنيف على سبيل المثال هو إحدى البؤر لتوجيه نشاط هذه المنظمات، وقد تم إنشاؤه فى عام ١٩٦١ بمبادرة من الدكتور سعيد رمضان حفيد حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين فى مصر، وكذلك فإن المركز الإسلامى فى ميونخ ظل أكثر من ثلاثين عاما المنبر

الوحيد للإخوان المسلمين فى أوربا. أما أسبانيا فيقول رولاند جاكار: إنها تمثل أحد المعابر الاستراتيجية للمتطرفين الإسلاميين هى ومدينة مرسيليا الفرنسية، كما تعتبر أسبانيا منفذا ثانيا لتهريب البضائع والمخدرات والأسلحة. وفى ختام هذا الفصل يقول جاكار: إنه توجد اتصالات وثيقة وتعاون بين التنظيمات الإسلامية التى تؤمن باستخدام القوة المسلحة، ويتحدث عن عدوى انتشار الحركات الأصولية الإسلامية المتطرفة فى دول المغرب العربى وانتقالها إلى القارة الأفريقية وخاصة فى السنغال، والنيجر، والجابون، بتشجيع من السودان وإيران لتنشر أفكار التطرف كما يقول.

والهجوم على الإسلام ليس وليد تفجيرات سبتمبر ٢٠٠١ فى نيويورك وواشنطن ولكنه قبل ذلك بعشرات السنين، وقد عبَّرت عن ذلك صحيفة هيرالد تريبيون الأمريكية فى عدد ٤ يناير ١٩٩٥ فى مقال بعنوان (إن اعتقاد واشنطن بكسب صداقة الإسلاميين وهم ساذج) قالت فيه إن الإسلام مثل جميع السلفيات الدينية الأخرى كلها تتسم بالدكتاتورية بطبيعتها، وقد يكون من السهل رسم صورة كاريكاتورية للبحث عن (معتدلين) إسلاميين. وإن تبديد المفهوم عن الانتصار الإسلامى المحتوم يجب أن يمثل الهدف الرئيسى لأية استراتيجية أمريكية. وقالت الصحيفة فى المقال الذى كتبه بيترو رودمان: إن عداء المسلمين للغرب يرجع إلى الانحطاط الثقافى والفساد وهما نتاج العقيدة الإسلامية ذاتها، ويرون أن أمريكا القوة العظمى الوحيدة، فهى تجسد كل ما يكرهونه ويزدرونه. والصحوة الإسلامية هدفها محاربة الحكومات العربية المعتدلة الموالية للغرب، وسذاجة واشنطن أنها تصورت أن فى إمكانها كسب صداقة الإسلاميين لتغيير موقفهم من سياسات الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط، ومن الممكن أن تكون عملية السلام العربية الإسرائيلية هى الضحية إذ يعتبرها الإسلاميون خيانة، وقال كاتب المقال: فى النهاية لابد من التسليم بأن التيار الإسلامى فى أى مكان يمثل ضررا بالغا للشعوب المتحضرة وللذين يقفون على خطوط المواجهة لمقاومة هذا التيار.

وقد كتبت تيريزا واتنابى تقريرا لوكالة (لوس أنجليس تايمز) الأمريكية نشرته صحيفة الشرق الأوسط يوم ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٢ قالت فيه: إن تعامل بعض

الأمريكيين مع المسلمين يتسم بالقسوة، وقد نشر خلال عام ٢٠٠٢ وحده أكثر من عشرين كتابا عن (الخطر الإسلامى) وأكثر الكتب بيعا فى أمريكا كتاب (الإرهابيون بين ظهرانينا) من تأليف ستيفن أميرسون وكتاب (الإسلام المقاتل يصل إلى أمريكا) تأليف دانيال بايبس، وقد أصدر قادة طوائف انجليكانية بيانات تزعم أن الإسلام دين شرير، وتدل الاستطلاعات على أن الأمريكيين صاروا أقل قبولا للإسلام أو رضا عنه، وفى استطلاع أجرته صحيفة (لوس أنجلوس تايمز) قال ٣٧٪ من الأمريكيين: إن انطباعهم عن الإسلام سلبى، وقال ٢٥٪: إن انطباعهم عن المسلمين الأمريكيين سلبى. والسياسيون فى أمريكا يتأثرون بهذه الاتجاهات، ولذلك أصبح إقبال السياسيين على المؤتمرات الإسلامية ضعيفا جدا، وعلى سبيل المثال لم يحضر أى سياسى على أى مستوى مؤتمرا إسلاميا عُقد بعد أحداث ١١ سبتمبر فى واشنطن وحضره ٣٠ ألفا من المسلمين. وظاهرة عزل المسلمين شملت البيت الأبيض، وإن كان الرئيس بوش قد التقى ببعض المسلمين وزار المركز الإسلامى بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ لكنه لم يلتق بأحد من المسلمين بعد ذلك، على الرغم من أن المسلمين الأمريكيين أيدوا بوش فى الانتخابات عام ٢٠٠٠ تأييدا شبه إجماعى، ويضيف التقرير إن هذا الجو السياسى المحفوف بالمخاطر بدد الأمل فى أن يخوض عدد من المسلمين الأمريكيين الانتخابات التكميلية للكونجرس عام ٢٠٠٢. وقد زاد قلق المسلمين الأمريكيين بعد اعتقال بعض المسلمين فى نيويورك وفلوريدا وغيرهما بتهمة دعم الإرهاب، وما يردده خصوم المسلمين من أن هناك طابورًا خامسًا من المسلمين داخل أمريكا. ولا يلقى المسلمون فى أمريكا تسامحا من القادة السياسيين والدينيين، خاصة فى المنطقة التى تسمى (حزام الإنجيل) وتشمل أماكن مثل جرينفيل وتكساس حيث تتزايد كثافة المعمدانيين. وكان القس (سام دوجلاس) قد وجه الدعوة إلى أحد المسلمين الذين ارتدوا عن الإسلام واعتنقوا المسيحية ليتحدث أمام مجموعة من أعضاء الكنيسة المعمدانية عن تجربته، وبعد ذلك قدم القس سام دوجلاس رؤيته الشخصية للإسلام فقال: إنه درس الإسلام عندما كان قسيسًا فى الجامعة، والدين الإسلامى لا يحترم قيمة الحياة الإنسانية، ويمثل تهديدا لكل من يمكن أن يوصف بأنه (كافر) أى أن كل من ليس مسلما معرض

للخطر على أيدى المسلمين، وقال فى ختام كلمته: إنه يحب المسلمين ولكنه لا يحب ديانتهم.

وفى مجلة تايم الأمريكية كتب نيوكلاس لوكسن مقالا فى يونيو ٢٠٠٢ بعنوان الإسلام فى أوربا قال فيه: إن الشريعة الإسلامية هى أسلوب الحياة للمسلمين ولكنهم حولوه إلى قانون للعقوبات. والغربيون لا يرون فى الشريعة الإسلامية سوى قطع الأيدى والأرجل والرجم والقتل وقمع المرأة وحرمانها من دور إيجابى فى المجتمع، ويلاقى المسلمون فى أوربا الاضطهاد، ففى فرنسا طردوا التلميذات المحجبات من المدارس. وفى بعض المناطق البريطانية مثل لوتون تلاقى الجالية الإسلامية صعوبات فى الحصول على العمل، ولا يوجد عضو واحد مسلم فى البرلمان الفرنسى رغم أن فيها أربعة ملايين مسلم، ورغم أن البعض مثل الدكتور بسام طيبى أستاذ العلاقات الدولية بجامعة جوتنجن صاغوا مصطلح (الإسلام الأوربى) ويعنى التزاوج بين الإسلام والقيم السياسية الغربية مثل التعددية، والتسامح، وفصل الدين عن الدولة، والمجتمع المدنى، والديمقراطية، وحقوق وحرية الفرد. ويردد طيبى أن أمام المسلمين خيارين لا ثالث لهما، إما الإسلام الأوربى، وإما الانغلاق والانعزال عن المجتمع، وفى بريطانيا مسلمون على هذا الرأى ينادون بامتزاج الإسلام بالقيم الغربية ويقولون: إذا كان هناك تغيير اجتماعى فلابد أن يكون هناك تغيير عقائدى أيضًا، ولذلك يجب أن يكون هناك تفسير جديد للإسلام، ويقول نيكولاس لوكسن: إن فكرة (الأمة الإسلامية) مجرد فكرة فلسفية وليست واقعا ديموجرافيا، فالمسلمون موزعون فى جميع قارات العالم، ومنقسمون إلى شيعة وسنة، وهم فى أوربا منقسمون تبعا للدولة التى جاءوا منها والدولة التى يقيمون فيها، ويقول البعض: إن تأسيس الدولة الإسلامية بدأ فى المدينة أى فى أرض (الشتات) التى هاجر إليها المسلمون، ولهذا كان للهجرة - أى الشتات - أهمية بالغة فى خلق عادات المسلمين، والمهمة التى يجب على المسلمين الموجودين حاليا فى (الشتات) فى أوربا القيام بها هى اكتساب عادات معتدلة وملائمة للمستقبل.

هكذا نرى كيف يحاولون الربط بين فكرة (الشتات) اليهودية وتواجد المسلمين فى المجتمعات الغربية، بما يوحى بالتماثل بين هجرة اليهود إلى إسرائيل وإقامة دولتهم فيها وهجرة الرسول ﷺ وجماعة المسلمين إلى

المدينة وتأسيس دولة الإسلام فيها، ويكفى ذلك للدلالة على مدى المغالطات التى لا تنتمى للإساءة إلى الإسلام واختلاق شرعية دينية وتاريخية لإسرائيل.

ومحاولة تأسيس (إسلام أوربى) تتكرر فى كتابات أمريكية وأوربية، وعلى سبيل المثال فإن صحيفة لوموند دبلوماتيك الفرنسية التى تحظى باحترام المثقفين فى العالم نشرت مقالا مطولا بقلم جوسلين سيزارى فى عام ٢٠٠١ بعنوان (إسلام أمريكى وإسلام أوربى) قال فيه: إن فى الدول الأوربية الرئيسية الآن أحد عشر مليون مسلم، وإعادة تشكيل هؤلاء مهمة ضرورية، ومن هنا بدأت تظهر عبارة (الكيان الإسلامى) وتزايدت الاعتراضات والتساؤلات حول ظاهرة الوجود الإسلامى فى أوربا. بينما الوجود الإسلامى فى الولايات المتحدة ظاهرة حديثة، وعلى الرغم من التواجد الملموس للمسلمين بين العبيد الذين جلبهم تجار العبيد من أفريقيا إلى أمريكا فى الماضى فإن تاريخ الإسلام لم يبدأ حقيقة فى أمريكا إلا مع موجات الهجرة المتتالية خلال القرن العشرين عندما بدأ تدفق مسلمى الهند وباكستان وإندونيسيا وأفغانستان، وأخذوا منذ السبعينات ينشئون المساجد والمدارس والمجلات والصحف الإسلامية. وهذه الديناميكية الدينية تختلف عن حال المهاجرين المسلمين من العرب فى مطلع القرن الذين غلب عليهم الاتجاه نحو الاندماج فى المجتمع الأمريكى، وتزايد انتشار الإسلام بين السود داخل المجتمع الأمريكى، ومن بين العدد الإجمالى للمسلمين فى أمريكا -وهو عدد يتراوح بين أربعة وستة ملايين مسلم- فإن نصفهم على الأقل من الأمريكيين السود الذين اعتنقوا الإسلام. وانتقال المهاجرين من دول إسلامية إلى بيئة غير إسلامية متعددة الأجناس، وعلمانية، شجعهم على اكتساب عادات جديدة لممارسة الشعائر الإسلامية، وهذه العادات نشأت من تفاعل ثقافات المهاجرين الأصلية مع ثقافة كل مجتمع من المجتمعات الغربية التى هاجروا إليها. ونتيجة لذلك انقسم المسلمون فى الغرب إلى قسمين: قسم ظل توجهه إلى موطنه الأصلى أو ما يسمونه (دار الإسلام) وهذا القسم يواجه صعوبات وتحديات فى المجتمع الغربى الذى هاجر إليه كما حدث فى مشكلة رفض الحجاب للتلميذات المسلمات فى مدارس فرنسا، ومشكلة تهميش المسلمين فى ألمانيا، وانغلاق المسلمين اجتماعيا واقتصاديا فى بريطانيا والولايات المتحدة. أما القسم الثانى الأقل عددا

فيشمل المسلمين المهاجرين الذين قبلوا الاندماج فى المجتمعات الغربية التى يعيشون فيها واعتبروا أنفسهم جزءا من هذه المجتمعات.

ويقول المقال فى تحليل أوضاع المسلمين فى الغرب: إن الصدام فى أوربا واضح بين المسلمين المهاجرين والأوربيين نتيجة الصبغة الدنيوية للعادات والعقليات الأوربية والصبغة الدينية للعادات والعقليات الإسلامية، مما يجعل الاعتراف بالإسلام فى أوربا أمرا أكثر تعقيدا مما فى الولايات المتحدة. وتبدو مسألة تنظيم المؤسسات الإسلامية قضية تقلق أوربا لأنها ترتبط بخصائص العلاقة بين الكنائس والدولة، أكثر من ارتباطها بعجز المسلمين عن التكيف مع مبدأ فصل الدين عن الدولة، أو فصل الدين عن السياسة. وجميع الدول الأوربية تعترف بحرية العبادة، ولكن مشكلة الدول الأوربية فى كيفية إدخال الإسلام فى الإطار القانونى القائم فيها. وفى الدول التى يوجد فيها اعتراف قانونى بجميع الأديان مثل بلجيكا، وإيطاليا، وأسبانيا، نجد القوانين فيها تنظم عمل المؤسسات الإسلامية؛ فقد أصدرت أسبانيا فى ٢٦ يناير ١٩٩٢ قانونا يقر أداء الشعائر الإسلامية من خلال اللجنة الإسلامية الأسبانية. وهذه اللجنة تضم الجمعيات والاتحادات الإسلامية. وفى بلجيكا أقرت الدولة إقامة الشعائر الإسلامية رغم تأخر انتخاب مجلس إسلامى يمثل المسلمين فى التعامل مع الدولة. ولكن العقليات السائدة فى أوربا مازالت تعترض على الاعتراف بالإسلام، وهذا ما يفسر رفض الاعتراف بالجمعيات الإسلامية الرئيسية كمنظمات دينية وإعفائها من الضرائب كغيرها من المنظمات الأخرى، مما يدل على عدم استعداد المجتمع لتقبل الإسلام كدين معترف به. وفى الحالات التى يوجد بها دين للدولة مثل بريطانيا، والدانمرك، واليونان، أو يكون فى الدول دين غالب، فإن الأقلية الدينية تتمتع بنفس حقوق الأغلبية ولكن ذلك يحدث متأخرا دائما، فالمسلمون البريطانيون يناضلون منذ سنوات طويلة للحصول على الموافقة بإقامة مدارس إسلامية معترف بها من الدولة، وبعد أن اعتنق الإسلام ستيفن مغنى البوب فى السبعينات وأصبح اسمه يوسف إسلام بدأ يرعى عددا من المدارس الإسلامية وحصل أخيرا على اعتراف بهذه المدارس. ولكن ذلك ليس إلا تطورا محدودا. وأما الدول التى تلتزم بالفصل التام بين الدولة والكنيسة مثل فرنسا فلا تزال شرعية الإسلام المؤسسى مطروحة، ومنذ

عام ١٩٨٩ أصبح تنظيم الإسلام مسألة تخص الدولة، وقد فشل وزير الداخلية فى محاولاته للتوفيق بين التيارات والجمعيات الإسلامية التى تتنازع حول الزعامة الإسلامية فى فرنسا. وفى أكتوبر ١٩٩٩ اقترح وزير الداخلية على الجمعيات الإسلامية المختلفة الاتفاق والتوقيع على وثيقة تشمل تحديد المبادئ التى تؤسس عليها العلاقة بين الدولة ونشاط العبادات الإسلامية، ووجد هذا الاقتراح مماطلة من بعض قادة الجمعيات الإسلامية، وأخيرا قام جميع ممثلى الإسلام الفرنسيين بالتوقيع على هذه الوثيقة فى ٢٨ يناير ٢٠٠٠ والمشاورات جارية لتنفيذ ما جاء فى هذه الوثيقة .

وتأتى المشاكل فى فرنسا من تمسك الفرنسيين باستبعاد المسائل الدينية، على الرغم من أن مجلس الوزراء يؤكد منذ عام ١٩٨٩ على أن الانتماء الدينى لا يتعارض مع العلمانية. وعلى الرغم من الفصل التام بين الدين والدولة فإن الولايات المتحدة ما تزال هى الدولة الأكثر تدينا فى المجتمع الغربى، و ٧٠٪ من الأمريكيين يؤمنون بالله، و ٩٠٪ يؤدون الصلاة يوميا أو مرة كل أسبوع، و ٧٠٪ أعضاء فى الكنائس أو المعابد، و ٤٠٪ يحضرون القداس فى الكنائس كل يوم أحد، وفى نفس الوقت بدأ التمسك بالتعاليم الدينية يتدهور على نحو مشابه لما يحدث فى أوربا، مثل التخلى عن الطقوس الدينية الأساسية، ومثل الحرية الجنسية، وهذا التناقض فى المجتمع الأمريكي سمح بظهور ممارسات دينية خاصة ومخالفات للدين والخروج عليه، أما أوربا فهى الوحيدة التى استقرت فيها العلمانية، واستقر فيها مبدأ فصل المؤسسات الدينية عن الدولة، وعدم الالتزام بالمبادئ الدينية.

وهذا ما يفسر الصعوبات التى يواجهها المسلمون فى أوربا، بينما ينتشر الإسلام فى المجتمع الأمريكي بشكل لا يقارن بما فى أوربا.. وفى نفس الوقت يجب ألا نستخلص من ذلك أن المجتمع الأمريكي يتقبل الإسلام بصورة كاملة، فمازالت الأحكام المسبقة وعمليات التمييز ضد الإسلام قائمة من علامات التناقض الأمريكى، ويظهر الانحياز ضد الإسلام فى وسائل الإعلام ابتداء من نشرات الأخبار إلى أفلام هوليوود التى تصور الإسلام بصورة مرادفة للإرهاب، وهذه الرؤية تؤثر على حياة المسلمين اليومية فى المجتمع الأمريكى، فبعد الاعتداء على مركز التجارة العالمى تعرض المسلمون الأمريكيون لأشكال مختلفة من

التهديد والتخويف، بمثل ما يحدث للشباب المغربى المسلم فى فرنسا خاصة بعد عمليات الاعتداء التى وقعت فى باريس عام ١٩٩٥. وهنا وهناك فإن الأساليب الشائعة فى الحديث عن الإسلام هى تصويره على أنه (عقيدة شيطانية) وقد أقام مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية قضايا عديدة ضد شركات وجهات تضطهد المسلمين، وتستخدم عبارات ورموز إسلامية بصورة مهينة فيها إساءة إلى معتقدات المسلمين، ولاضطهاد العاملين المسلمين بسبب عقيدتهم، ويناضل مجلس المسلمين الأمريكيين للحصول على اعتراف سياسى بالطائفة المسلمة يتساوى مع وضع الطوائف الدينية الأخرى، كما يسعى إلى تغيير صيغة (أمريكا مجتمع يهودى - مسيحى) إلى (أمريكا مجتمع يهودى - مسيحى - إسلامى) من أجل إقناع الجميع بأن الإسلام يتضمن نفس القيم التى تقوم عليها الأديان الأخرى. ويحاول المسلمون فى أوربا إثبات أن الإسلام له نفس الأهداف والقيم التى للأديان الأخرى ولكنهم لم ينجحوا فى ذلك.. وفى أمريكا نسبة أكبر مما فى أوربا من الصفوة المسلمة المهاجرة إليها من أطباء وأساتذة جامعات ومهندسين ورؤساء شركات، ووجود المسلمين فى الجامعات الأمريكية أكبر من وجودهم فى الجامعات الأوربية، بينما الغالبية العظمى من المهاجرين إلى دول أوربا من فقراء المغرب، وأفريقيا، والهند، وباكستان، وهم الذين هاجروا هربا من أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية السيئة فى بلادهم، ولا يغير من ذلك كثيرا ظهور مسلمين من الطبقة المتوسطة وبعض الشخصيات المثقفة فى أوربا.

هذا التحليل أيضا يعكس أولاً: سوء أوضاع المسلمين فى أوربا وأمريكا بشكل عام، وسوء الفهم للإسلام والمسلمين، والنظرة السائدة إلى الإسلام على أنه (دين الشيطان) كما فى مقال جوسلين سيزارى.

إلى متى يظل الإسلام والمسلمون فى الغرب ضحية سوء الفهم وسوء المعاملة ؟

هل الأفضل أن نوجه السؤال إلى الدول الأوربية، أو إلى الحكومات والمؤسسات الإسلامية التى تخصص لها عشرات الملايين من الدولارات لخدمة الإسلام فلا تعمل شيئا سوى بناء مساجد وتوظيف جيوش من العاملين ولا تتعامل بجدية مع مفاتيح الرأى العام فى أوربا وأمريكا ولا تنظم حوارات جادة لإيجاد جسور للتفاهم واستعادة الثقة على الجانبين ؟

صناعة العداء للإسلام !

لا ننكر أن فى الغرب مفكرين يتحدثون عن الإسلام بإنصاف، ولكن فى الغرب أيضاً صناعة ضخمة، هى صناعة الكراهية والعداء للإسلام والمسلمين.

الذين يحاولون إنصاف الإسلام فى الغرب قلة ، من أمثال الدكتور هانيس ديترفنتر السفير الألمانى السابق الذى كتب دراسة قال فيها: إنه لايمكن مساواة الإنسلام السياسى كأيديولوجية للوصول إلى الحكم مع الإسلام كعقيدة ودين، وإن سوء استخدام الإسلام كأيديولوجية لأسباب سياسية - كما حدث فى الأديان السماوية الأخرى - هو الذى أدى إلى فهم خاطئ لدى الأوربيين، وجعلهم يشعرون بأن الإسلام يشكل خطرا عليهم. وهناك أسباب مختلفة لصناعة العداء للإسلام، منها؛ أن الغرب محتاج إلى وجود (عدو) يحفز قواه، ويستنفر طاقاته ورغبته فى الحرب والانتصار واثبات التفوق والحصول على مكاسب وينشط صناعات الأسلحة وتطويرها، وهى الصناعة الكبرى التى يعتمد عليها اقتصاد الغرب.. وذلك بعد زوال (الخطر الشيوعى).. وقد يكون الدافع رغبة الغرب فى إلحاق الهزيمة بكل العقائد التى تختلف عنه لكى يفرض على العالم العقائد والفكر الغربى، وقد يكون السبب أن الإسلام موجود فى مجموعة الدول المتخلفة التى تسمى (العالم الثالث) ومن الطبيعى أن ينفر المتقدمون من المتخلفين، وأن يقلل الأغنياء من شأن الفقراء، وأن يتعالى المتعلمون على الجهلاء !.

يتساءل المفكر الألمانى الدكتور هاينس ديترفنتر: لماذا تحول النقاش عن الإسلام كعدو، إلى موضوع لإعداد مخططات الحرب والسياسات الأمنية للغرب فى السنوات الأخيرة؟.. والأحداث التى تقع فى (الحزام المتأزم) المتد من المغرب إلى الخليج العربى هل تبرر التحدث عن الإسلام على أنه عدو وخطر محدق بالغرب ؟.

ويقول المفكر الألماني: لا شك أن هناك تفهما عميقا للاستياء الشديد من الأعمال الإرهابية التى يرتكبها الإسلاميون فى الجزائر أو فى غيرها، ومن حق الغرب أن يشعر بالمخاوف من أن تنتقل إليه هذه الأحداث الإرهابية، وقد زادت المخاوف بعد الثورة الإسلامية فى إيران التى أشعلها الخومينى، ومع اندلاع الحرب العراقية - الإيرانية، وبعد عمليات الخطف والتفجيرات التى قامت بها المجموعات الإسلامية. ولكن النقاش حول الإسلام كعدو يهدد أمن الدول الغربية قد ازداد فى نهاية الثمانينات وبداية التسعينات، بعد زوال الاتحاد السوفيتى وانتصار الغرب بعد أربعين عاما من الصراع والمواجهة بين الغرب والشرق، ثم جاءت حرب الخليج لتؤكد أن المنطقة العربية الإسلامية المتاخمة لأوربا من الجنوب تمثل الخطر الهائل المحتمل، وبعد أن أعلن صدام حسين فى ندائه الديماجوجى دعوة العرب والمسلمين إلى شن حرب (الجهاد) ضد الغرب، أصبح من السهل على القيادات العسكرية والمسئولين عن الأمن فى الغرب أن يحددوا الخطر والعدو، ولذلك فإن الحديث منذ عام ١٩٩٠ عن (الأخطار القادمة من الجنوب) هو موضوع البحث فى منظمة حلف شمال الأطلنطى والوثائق الصادرة عنه، وكذلك فى جيش ألمانيا، وفى تقرير صادر عن حلف شمال الأطلنطى أن الأخطار التى تهدد دول حلف الأطلنطى مصدرها الحركات الإسلامية المعروفة بعدائها للقيم الغربية، وقد كتب السكرتير العام السابق لحلف الأطلنطى، مانفريد فورنر فى رسالة موجهة إلى الحلف عام ١٩٩٠ جاء فيها: (تنشأ على طول الحدود الجنوبية لدول حلف الأطلنطى كتلة من التوترات تمتد من المغرب إلى الشرق الأوسط ويجرى تصعيدها من حكام متسلطين مثل صدام حسين، هذه المنطقة تعانى من مشاكل اقتصادية متأصلة ستؤدى حتما إلى مواصلة تفاقم مشكلة السكان، وإلى نشأة صراعات حول الموارد، وإلى زيادة التعصب الدينى، وزيادة الإرهاب).

أما القائد الأعلى السابق لقوات حلف الأطلنطى، جون كلفان، فقد قالها بصراحة وبوضوح، ودون التفاف وراء عبارات وكلمات مراوغة، وأعلن فى محاضرة ألقاها فى عام ١٩٩١: (لقد عرف هذا القرن أطول مجابهة بين الغرب والإسلام منذ أكثر من ألف سنة، امتدت من الحروب الصليبية حتى

العصر الحديث.. وبعد أن انتصر الغرب فى الحرب الباردة ها هو ذا الصراع يعود إلى المحور الرئيسى، وهو المواجهة بين الغرب والإسلام، والسؤال هو: هل سيستعيد التاريخ العسكرى الغربى محوره الرئيسى الصحيح، أى المجابهة مع الإسلام، بعد أن انشغل عنه منذ هزيمة الجيش التركى على أبواب فيينا عام ١٦٨٣؟ هل سيسلط (سيف الإسلام) الحرب ضد أوروبا مدججا هذه المرة بأسلحة حديثة، قد تكون منها (القنبلة النووية الإسلامية؟).

ويضيف الباحث الألمانى هاينس ديترفنتر إلى أقوال قائد قوات حلف الأطلنطى السابق أنه من الصعب التغاضى عن أقوال كلفان الذى يتهم أكثر من مليار مسلم فى العالم بأنهم أعداء محتملين للغرب، وهذا الرأى يلقى انتشارا فى التفكير السياسى الغربى، فبعد عامين من إعلان قادة حلف الناتو عن أن (العدو هو الإسلام) ظهرت نظرية صموئيل هنتنجتون عن صراع الحضارات، وقال فيها: (إن الصراع القائم فى السياسة الدولية بعد انتهاء الحرب الباردة هو صراع بين الحضارة الغربية والحضارات الأخرى وأولها الإسلام).. ولا شك أن مواقف هنتنجتون وكلفان وغيرهما لها انعكاسات سلبية على علاقة الغرب بالعالم العربى والإسلامى، وتشجع التفكير العدائى ضد الإسلام فى الغرب، وتجعل العقل الغربى يرى أن الإسلام هو الإرهاب والأعمال المتطرفة للمجموعات الإسلامية.

يقول المفكر الألمانى فى تحليل موقف الغرب والفكر السائد فيه: إن هناك قلقا لدى المسئولين والسياسيين فى العالم الإسلامى والعالم العربى من العداء المتزايد للإسلام فى الغرب، مما قد يؤدى إلى قيام صراع جديد، وقد عبر عن هذا القلق الرئيس المصرى حسنى مبارك: فى حديث قال فيه: (لا يريد المسلمون أبداً أن يعاملوا على أنهم إرهابيون يقومون بالأعمال السرية فى النظام العالمى الجديد، بل يريدون التأكيد على أن لهم مصلحة فى التعاون مع كافة دول العالم على قدم المساواة، ولتحقيق ذلك يجب تصحيح الصورة المشوهة عن العرب والمسلمين فى عيون العالم، بناء على الأعمال الإجرامية التى يقوم بها المتطرفون المسلمون، وللأسف فإن الغرب يقيم نظريته انطلاقا من نشاط هذه المجموعات دون أن يستوعب الحقيقة وهى أن الإسلام لا يشكل خطرا من أى نوع،

وبعض الدوائر في الغرب تصب الزيت على النار عندما تتناول العلاقة بين الغرب والإسلام).

وفي دراسة المفكر الألماني يقول: إن الأمر لا يتعلق فقط بالاستيعاب الصحيح أو الخاطئ في الغرب عن الإسلام، ولكنْ هناك حقائق تغذى مشاعر العداء في الغرب، فقد زادت الأعمال الإرهابية التي تقوم بها الجماعات الإسلامية، وإذا قيل إن دوافع الإرهاب ترجع إلى الوضع الاقتصادي والاجتماعي للشعوب الإسلامية ولا ترجع إلى الدين الإسلامي ذاته، فإن السؤال الآن: كيف تمكن هؤلاء من استخدام الدين الإسلامي لأهداف سياسية، وكيف أصبحت لهم شعبية تؤيدهم منذ ١٩٨٩ وما بعدها؟.

ويجيب عن ذلك بقوله: إن الإسلام السياسي تطور منذ السبعينات، وكان قد لقي دفعة قوية بعد هزيمة الدول العربية عام ١٩٦٧ في حربها مع إسرائيل، كما كان للتغيرات التي حدثت في السياسة العالمية منذ نهاية الثمانينات وبداية التسعينات تأثير مباشر دعم هذا التيار، ويشير المفكر الألماني إلى مخاوف الغرب من عمليات الإرهاب في الجزائر، كما يشير إلى منظمتي حماس وحزب الله في فلسطين على أن أعمالهما أعمال إرهابية، ويشير أيضا إلى موجة الإرهاب التي شهدتها مصر والسودان بعد أن استولى الترابي على السلطة. ويرى الغرب أن التيار الإسلامي هي قوة المعارضة في كل الدول العربية، في حين كانت المعارضة في الستينات تتألف من القوى القومية، وترجع أسباب صعود القوى الإسلامية إلى الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، وتدهور الأوضاع الاقتصادية في الجزائر وتضخم عدد السكان. وانتشار البطالة بين الشباب، ونشاط الإسلام المتطرف الراديكالي في صفوف الطائفة الشيعية في لبنان نتيجة الاعتداء الإسرائيلي عام ١٩٨٢ وما تبعه من احتلال لبنان، إلا أن حركات الرفض هذه تبدو وكأن أسبابها محلية، فإن لها علاقة مباشرة بالتطورات الاقتصادية العالمية التي تترك آثارا سلبية على تطور دول العالم الثالث، وأهمها مسألة الديون التي تخضع تحت أعبائها هذه الدول، ولهذا فليس غريبا أن يستغل الإسلاميون هذه الأمور ويتخذوها ذريعة لمهاجمة الغرب، كما يهاجمون النظام العالمي الجديد الذي ظهر إلى الوجود بعد حرب الخليج، لأن هذا النظام لم يأت بجديد لهذه

الشعوب، ولم يتضمن أى برنامج لصالحها. وبالإضافة إلى ذلك فإن تدخل الغرب فى الشئون الداخلية للعالم العربى والعالم الإسلامى يمثل سببا مهما لتوتر العلاقات، ولا يخفى الغرب أنه يتدخل فى الشئون الداخلية، وقد قالت مجلة (الإنسان) التى تصدر فى باريس والتى تعالج موضوعات ذات صيغة عالمية: (إن التدخل فى الشئون الداخلية، وخرق السيادة الوطنية، هما من خصائص النظام العالمى الجديد) وأشارت المجلة بالاتهام إلى التحيز فى النظام العالمى الجديد، فهو ضد تسليح العراق ولكنه مؤيد لتسليح إسرائيل، وهو ضد احتلال العراق للكويت، وأزال هذا الاحتلال بالقوة العسكرية، ولكنه مؤيد لاحتلال إسرائيل الضفة الغربية، وهذا النظام يعلن أنه يسعى إلى فرض الديمقراطية فى جميع دول العالم. ولكنه مؤيد للحكومة الجزائرية فى موقفها ضد الديمقراطية عندما قامت بإلغاء الانتخابات التى نجح فيها الإسلاميون.

ويقول المفكر الألمانى: إن شعبية الإسلام السياسى ازدادت بعد حرب الخليج، وظهر كحركة تمرد ضد سيطرة الغرب على العالم، ونوع من الرد على النظام العالمى الجديد بعد أن أعلن الرئيس الأمريكى جورج بوش (الأب) أن الحرب ضد العراق هدفها تأكيد قيادة النظام العالمى الجديد. وقد فسر أحد علماء السياسة الألمان، هو أولريش البرشت انتشار الحركات الإسلامية بأنها رفض من العالم الثالث للطرق التى يريد الغرب فرضها لتحقيق التقدم والتنمية، ورفض للمفاهيم والاستراتيجيات الغربية، ولكن - مع ذلك - لم يبرهن الإسلاميون على أن باستطاعتهم وضع بديل معقول لحل القضايا المتأزمة التى تعانى منها شعوب العالم الثالث. ولا يزال للحركات الإسلامية تأثير كحركات للرفض. وقد جاء فى البيان الصادر عن قمة الدول الغنية فى (نادى روما): (سوف تزداد الهوة بين الأغنياء والفقراء، وبين الشمال والجنوب، وبخاصة سوف يزداد الشعور بالغبن وغياب العدالة فى الشعوب العربية والإسلامية).

ويقول الباحث الألمانى: إنه فى فترة من الفترات شجع الغرب القوى الإسلامية لتكون ضد قوى القومية العربية، وحدث ذلك بتأييد من الولايات المتحدة، كما نظمت جماعات المجاهدين فى أفغانستان وأمدتهم بالأموال والسلاح بطريق مباشر وغير مباشر لمحاربة الاتحاد السوفيتى، وهذه الجماعات التى

نشأت برعاية أمريكا هى التى تمثل الجماعات الإرهابية التى تحارب أمريكا العالم بدعوى القضاء عليها، وتفسير هذا التغير فى المواقف الأمريكية أن المصالح الأمريكية تغيرت بعد انتهاء الحرب الباردة، ورغم أن الولايات المتحدة تعلن أنها تسعى إلى فرض الديمقراطية وحقوق الإنسان والتسامح وغيرها مما تسمية القيم الأمريكية، فإنها تساند الدول المعادية للديمقراطية ما دام ذلك يحقق مصالحها مما يدل على أن الدافع الأول لأمريكا هو مصالحها وليس القيم أو المبادئ أو الدفاع عن الديمقراطية! وسبق أن وجهت أمريكا القوى الإسلامية ضد النظم الاشتراكية، كما وجهتها ضد القومية العربية، والنتيجة أن الثغرة التى تركتها الأيديولوجية القومية والاشتراكية تملؤها اليوم أيديولوجية القوى الإسلامية، وهدف الحركات الإسلامية من معارضة أنظمة الحكم القائمة الوصول إلى السلطة، وفى صفوف الإسلاميين اتجاه معتدل يتحرك فى إطار الشرعية، كالمشاركة فى الانتخابات، ولديهم استعداد للاندماج فى النظام السياسى فى بلادهم إلى أن يصلوا إلى الحكم، وهناك اتجاه ثان يسعى إلى القضاء على النظم القائمة بالقوة وبالأعمال الإرهابية، ودلت التطورات على أن الاتجاه الإسلامى يغير الخط الذى ينتهجه، فمثلا كان الاتجاه المعتدل هو الغالب فى الجزائر فى بداية التسعينات وكان يسعى إلى السيطرة على الحكم عن طريق الانتخابات، ونجحوا فى تحقيق ذلك وحصلوا على أغلبية المقاعد فى الانتخابات لولا أن الجيش تسلم الحكم وقام بإلغاء نتيجة الانتخابات، وتغير أسلوب العمل فأصبح العنف هو وسيلة الإسلاميين فى الجزائر للسيطرة على الحكم.

يقول الباحث الألمانى الدكتور هاينس ديتر فنتر: إن من واجب كل دولة تأمين وحماية مواطنيها وضيوفها الأجانب، وبالأخص حمايتهم من الإرهاب والعنف، وكذلك واجبها المحافظة على الأمن والنظام من المحاولات الهادفة إلى إشاعة القلق وعدم الاستقرار، ومن الضرورى التصدى للأسباب التى تساعد على صعود الإسلاميين فى كل بلد، وقد دلت التجارب على أن القوى الإسلامية المتطرفة تلقى التجاوب فى المناطق المهملة من الدولة.

ويقول: إن مخاوف الغرب ليست ناتجة من محاولات الجماعات نشر الرعب وعدم الاستقرار فى بلادهم، ولكن الخوف من أن تنتقل هذه الأعمال

الإرهابية إلى الدول الغربية عن طريق المسلمين المقيمين فى الغرب والذين يتزايد عددهم باستمرار، وفى مناقشة نشرت فى مجلة (فورن افيرز) Foreign Affaires جاء فيها: (إنه من المعتقد وجود مركز إسلامى دولى، أو قيادة إسلامية دولية، توجه العمليات الإرهابية فى أنحاء العالم، على غرار تنظيم (الشيوعية الأممية) التى كانت تديرها موسكو سابقا، وهناك دلائل تشير إلى أن إيران تمثل هذا المركز، وفى الغرب مخاوف من أن تؤدى طموحات الإسلاميين إلى إعادة قيام إمبراطورية إسلامية مما يهدد دول الغرب، والحقيقة أن إيران أو بعض قادتها، يقدمون المساعدات للجماعات الإسلامية فى الدول الإسلامية بهدف تحقيق أطماع خارجية لإيران، ولكن نظرا لشدة الاختلافات وتضارب المصالح السياسية والاقتصادية بين الدول العربية والإسلامية، والتناقضات فيما بينها، فإنه من المستبعد أن تقوم دولة عربية موحدة، أو دولة إسلامية موحدة، لأن القاعدة السياسية والاقتصادية لقيام مثل تلك الدولة غير موجودة، وأقصى ما يمكن أن تصل إليه إيران بوزنها الإقليمى، وطاقاتها الاقتصادية، وموقعها، هو السعى إلى تحقيق (نوع من السيطرة) فى منطقة الخليج، وهذا مطمع سياسى لا علاقة له بالإسلام، وحكم الشاه السابق على قيام الثورة الإسلامية كان يسعى إلى تحقيق نفس الأهداف.

وبالرغم من ذلك فإن فكرة إمكان وصول القوى الإسلامية إلى السلطة فى بعض الدول تبعث على الخوف فى الغرب. والسؤال: هل ستشكل مثل هذه الدول خطرا على السلام فى العالم وعلى الأمن فى أوربا؟.

والإجابة عند الباحث الألمانى: (ليس هناك دولة عربية واحدة تملك الموارد والإمكانات التى تسمح لها بالحصول على التكنولوجيا الحديثة التى تملكها دول الغرب. وبالنسبة للدول الإسلامية الغنية فمن المستبعد أن تصل القوى الإسلامية إلى الحكم. وأيضا من المستبعد امتلاك دول إسلامية لأسلحة نووية. ولكن الذى يعوق حظر امتلاك أسلحة نووية فى منطقة الشرق الأوسط أن إسرائيل تمتلك هذه الأسلحة بالفعل وترفض نزع الأسلحة النووية من المنطقة، وإيران نفسها اضطرت إلى اتباع سياسة معتدلة، بعد وصول محمد خاتمى إلى الحكم، ولم تعد مسألة تصدير الثورة الإسلامية من أولويات الحكومة، بل إنها تسعى إلى إقامة علاقات

جيدة مع الغرب وخصوصا العلاقات الاقتصادية ، وقد استطاع هذا الاتجاه البراجماتي أن يفرض نفسه ضمن القيادات المتصارعة في الساحة السياسية الإيرانية. ولكن - مع كل ذلك - ما يزال الاحتمال قائماً إذا فشل النظام الإسلامي في أي بلد أن يلجأ إلى توجيه الغضب الشعبي نحو الغرب، ويثير الشعور بأن البلاد تواجه التهديد الخارجي، ومثل هذه المغامرات السياسية تمثل خطرا دائما للغرب حتى وإن لم تكن لها علاقة بالإسلام، ومفكر مثل كالفان يرى أن العالم سوف يشهد فترة جديدة من الحروب بين الغرب والإسلام، وسوف تؤدي الأزمات الاقتصادية وتضخم السكان في الدول الإسلامية إلى دفع أعداد هائلة من المسلمين إلى الكفاح تحت راية الإسلام ضد الأنظمة المحلية وضد سيطرة الغرب، وقد كان عدد سكان العالم العربي في ظل الإمبراطورية العثمانية التي سقطت عام ١٩١٨ يبلغ ٣٥ مليون نسمة، وعندما قامت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ كان سكان العالم العربي ٨٠ مليون نسمة، وعندما أصيب العرب بهزيمة ١٩٦٧ كان عددهم ١١٥ مليون نسمة، والآن يزيد عددهم على ٢٠٠ مليون نسمة، ومن المنتظر أن يتضاعف هذا العدد في خلال ربع قرن. وتبلغ نسبة الشباب أقل من ١٥ سنة ٤٥٪ أي ما يعادل ٨٩ مليون شاب، ماذا سيكون موقفهم في ظروف الفقر وفقدان الأمل في أن يساعدهم الغرب الغني؟.

يقول المفكر الألماني إذا كان الغرب يريد تفادي الزحف الإسلامي فعليه أن يساعد على علاج الأسباب التي تؤدي إلى نشأة ونمو التطرف والعنف في العالم الإسلامي، ولكن من الواضح غياب استراتيجية مشتركة لدول الغرب لمساعدة الدول الإسلامية خصوصا الدول المتاخمة لحوض البحر المتوسط القريبة من أوروبا.

وفي البحث عن جذور العداء، يقول الباحث الألماني: إن الدول الأوروبية والولايات المتحدة لا تساعد بما فيه الكفاية على حل مشاكل الدول الإسلامية، ولا تقدم للعالم الإسلامي الدليل على الإنصاف والعدالة من جانب الغرب تجاه القضايا المصيرية في الدول الإسلامية. بل إن النظام الاقتصادي العالمي الحالي قائم على إنتاج التخلف. وبالرغم من أن السياسة الرسمية في الغرب تعلن رفضها لنظريات العداء للإسلام إلا أن التعامل الفعلي للغرب مع الدول الإسلامية،

والمناخ العام السائد فى الغرب عموما يبشران بصراع الحضارات، وفى ألمانيا على سبيل المثال عندما يجرى الحديث عن المنطقة المتأزمة التى تشمل دول الجنوب الإسلامية يتبع ذلك دائماً الحديث عن التدخل العسكرى للجيش الألمانى، ولا يدور حديث عن إزالة الأسباب الداعية للأزمات والنزاعات وحلها بالطرق السلمية، أو عن إعادة النظر فى علاقات دول الغرب بالدول العربية والإسلامية على أساس المساواة والعدالة، وهناك الكثير من الدلائل التى تشير إلى عودة العلاقة بين دول الغرب ودول الجنوب عموما إلى مرحلة علاقة (سيد ومسود)، وفى أسوأ الأحوال قد تؤدى هذه العلاقة إلى عزل دول الغرب فى حصن محاط بالأسوار لحمايتها من الأخطار التى تهددها من جيوش النازحين القادمين من الشاطئ الآخر للبحر المتوسط - وفى مثل هذا الموقف من الغرب لدول الجنوب فإن تصوير الإسلام والمسلمين على أنهم (العدو) ونشر هذه الصورة بين الرأى العام، من الوسائل التى لا غنى عنها لسياسة الدول الغربية. والولايات المتحدة تقسم الدول العربية والإسلامية والقوى السياسية فيها إلى قسمين: قسم يقبل سيطرة الغرب على المنطقة، وقسم يرفض هذه السيطرة، وهذا القسم هو الذى يمثل الدول التى توجه إليها الولايات المتحدة الاتهام بالإرهاب، وتتخذ الإجراءات لمعاقبتها من وقت لآخر بغرض الحصار الاقتصادى عليها، أو ربما باستخدام عصا التدخل العسكرى الغليظة ضدها، وفى نفس الوقت تتظاهر الولايات المتحدة أمام الدول العربية النفطية بأنها هى التى تقوم بحمايتها ومستعدة للتدخل العسكرى من أجل ذلك إذا تطلب الأمر. لكن مثل هذه السياسة تلقى الرفض تدريجيا من الدول التابعة للولايات المتحدة، لأن سياسة التبعية هذه تعطى للإسلام السياسى الحجة فى دعايته المعادية للغرب، وللأسف فإن هذه السياسة الأمريكية تلقى الدعم غالباً من حكومات الدول الغربية.

ينتهى الباحث الألمانى الدكتور هاينس ديتر فنتر إلى أنه: قد حان الوقت لكى تضع دول أوربا لنفسها سياسة مستقلة، للتعامل مع الدول العربية الإسلامية القريبة منها، مستفيدة من دروس التاريخ الذى يعود إلى أكثر من ألف سنة، فالمنطقة الممتدة من المغرب إلى الخليج ملأى بالقضايا الساخنة، وهناك حالة من الاستياء المتزايد بين شعوب المنطقة تجاه العلاقة بين الغرب والدول العربية

والإسلامية، وأن التطورات الحالية فى المنطقة يجب أن تجد الانتباه الكافى من جانب دول الغرب وهى تتطور بشكل دراماتيكى، وتشكل عاملا يبعث على عدم الاستقرار فى العلاقات الدولية، ويجب ألا تحمل هذه التطورات أوربا على تثبيت أو تكبير صور العداء للإسلام، لأن هذا لا يجدى وهو خطر فى آن واحد. والأفضل من ذلك البحث عن أسباب انتشار الإسلام السياسى والقوى المتطرفة فيه، لأن الغرب يتحمل مسئولية كبيرة فى ذلك، فلقد كانت الدول العربية تحت الاستعمار والحماية الأوروبية بعد الحرب العالمية الأولى، والدول الغربية هى التى قسمت المنطقة ووضعت بذور المشاكل التى تعانى منها حتى اليوم، هذا إلى جانب مشاكل التخلف والفقر التى تعانى منها نتيجة السياسة الاقتصادية التى تتبعها الدول الصناعية المتقدمة الغنية. أى إن الأمر يتوقف على الغرب أساسا، ويجب أن يكون للدول العربية والإسلامية موقع ملائم داخل النظام العالمى الجديد.

ويختتم بحثه بالقول: بأن الغرب إذا أراد أن ينزع فتيل الأزمة بينه وبين والإسلام فعليه أن يشعر بمسئوليته ويقوم بالمبادرة والبدء بفتح الطريق لذلك.. بالمساعدة على حل القضية الفلسطينية حلا حقيقيا وعادلا، وعدم تجاهل الحقوق العربية، أو فرض حلول جزئية، أو طمس الأسباب الحقيقية للنزاع، ومن الضرورى أن يشعر العرب والمسلمون بعدالة الحل، وخاصة فى مسألة القدس التى تمس أكثر من مليار مسلم، ويجب أن يشعر الفلسطينيون بتحسن ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية، ومن الضرورى وضع خطة اقتصادية للمنطقة مثل مشروع مارشال لإنعاش الدول العربية وتشارك دول الغرب فى هذا المشروع، ويمكن إنشاء هيئة لحل الخلافات وتحقيق التنسيق بين دول الغرب ودول المنطقة، والمطلوب من الولايات المتحدة والدول الأوروبية الإسراع فى إقامة نظام للسلام فى المنطقة، ولا يمكن أن يتحقق ذلك دون احترام استقلال أصحاب الشأن فى المنطقة وعدم إجبارهم على القبول بالنموذج الغربى، ووضع حد للدعايات المنتشرة فى دول الغرب التى تعمد إلى نشر صور عدائية عن الإسلام والحديث عن صراع الحضارات.. وعلى الغرب أن يعمل على تفهم قضايا العالم العربى

والإسلامى واحترام الدين الإسلامى، والثقافة والتقاليد السارية فى العالم الإسلامى، وإقامة الحوار والتعاون على أساس التكافؤ وليس المجابهة.

وفى آخر كلماته يقول الباحث الألمانى: إن الخطر الذى يهدد الغرب لا يأتى من الإسلام، بل من إخفاق السياسة الأمريكية والأوروبية فى التعامل مع دول الجنوب.

كثير مما قاله الدكتور هاينس ديترفنتر يمثل صوت العقل والتوازن والموضوعية فى الغرب.. ولكن - مع الأسف - فإن هذه الأصوات قليلة.. ولا تجد آذانا صاغية.. وغير مؤثرة فى وضع السياسات وصنع القرار.. ومع ذلك يجب أن نوجه إليها التحية، ولو كانت لدينا مؤسسات حية لمدت يدها إلى أصحاب هذه الأصوات وتدعمها وتساعدها على استكمال فهمها للإسلام..

obeikandl.com